الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA

Faculté des Lettres et Langues

Département de Langue et Littérature arabe

الرقم:..... **N° :**.....

رسالة مقدّمة لتكملة متطلبات شهادة

الماستـــــــــــــر LMD

تخصص: أدب جزائري

جماليات الخطاب الأدبي السّاخر: الزربوط، النقائض، قلة أدب لسعيد بن زرقة أنموذجا _دراسة تحليلية وصفية_

من إعداد الطالبة:

أميرة عطى الله

إشراف الدكتور:

ميلود قيدوم

تاريخ المناقشة: 06 جويلية 2019.

أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	الجامعة
عبد الحليم مخالفة	أستاذ مساعد "أ"	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
ميلود قيدوم	أستاذ محاضر"أ"	مشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945
عبد العزيزالعباسي	أستاذ مساعد "أ"	فاحصا	جامعة 08 ماي 1945

الموسم الجامعي: 2018 – 2019

بسم الله الرحمان الرحيم

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ وَامْتِنَانٌ...

أحمدُ ربِّي خيرَ حَمْدٍ وأوْفاهُ، وأشكرُه شُكراً يليقُ به جلَّ وعزَّ في علاهُ، وأصلِّي وأسلِّم على رسولِه ومُصْطفاه، ونبيِّه ومُجتباه، وعلى آله وصحبِه ومن والاه، وعلى من اقتفى أثره واتَّبع خطاه، واستنَّ بسُنته و اهتدى بهداه.

أما بعدُ :

فإني أحمدُ الله الذي لا إله غيره، أن هداني ووفَّقَنِي إلى سُلوكِ طريق طلبِ العلمِ، وشرَّفَني بدراسة اللغة العربية لغة القرآنِ الكريم، فله الحمدُ تعالى أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

ثم أتقدَّم بالشُّكر والتقدير، والاعترافِ بالجميل لوالدي الكريمين – حفظهما الله تعالى – على ما أكرماني به؛ من حسن عنايةٍ و توجيهٍ وتربيةٍ ونصحٍ وإرشاد...، ودُعاءٍ لي بالتوفيقِ الدائمِ المستمرٍ فيما أقوم به

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعمتَك الَّتِي أنعَمتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل:١٩].

وأُثني بعظيمِ الشكرِ والامتنانِ لأُستاذي المشرف "ميلود قيدوم"على ما قام به مشكورا مأجورا بإذن الله تعالى؛ وذلك لتفضُّله بالإشراف على هذه الرسالة طوال فترة إعدادها، وما لمستُه منه من دماثةَ الخلقِ وسعَة الصّدر، والحرص المثالي والاحترام المتبادل، وتوجيهاته وآرائها القيمة، فجزاك الله خيراً، وبارك فيك.

.

والحمد لله الذي بنعمه تتمُّ الصالحاتِ.

إهداء

إلى رَبِّنا.....حمدًا وشُكرًا

إلى نَبِيِّنا.....صلاَةً وسَلاَمًا

إلى أُمي وأَبي.....إحسَانًا وعرفَانًا

﴿ وَقُلْ رَبِّي اِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرَا ﴾

إلى أستاذي المشرف و قدوتي "ميلود قيدوم"...اعترافًا وامتنانًا..
احترامًا وتقديرًا.

إلى كل من ساهم في هذا العمل المتواضع و لو بدعوة صادقة
شكرا

وإلى كل من ينبض قلبه بحبِّ اللّغة العربية.. لُغة القـُرآن الكـريم

✍ إليكُـــم جميعا...أهدي ثمرة هذا الجهد

أميرة عطى الله

المقدمة

المقدمة

كلما اشتدت وطأة الحياة أطلق الإنسان ضحكات زافرات و لجأ إلى السّخرية كشهقة ترفض الاستسلام، و هذا الفعل الطبيعي انتقل إلى الأدب تاريخيا و كان هذا الامتزاج لحظة نادرة شهدت انقلابا في الأدب الذي كان يتسم بطابع الجدية المطلقة و المثالية المبالغة.

و لما كانت السّخرية و حضورها في المشهد الأدبي معبرة عن حالة تمرد فإنّها قد وُظفت هي الأخرى للتمرد على الواقع و الاحتجاج على السائد و البديهي و الأفكار التقليدية في المجتمع...، فقد وجد الأدب في السّخرية قوة عظيمة لردّم الهوة بينه و بين المتلقي من خلال أساليب مختلفة و رسائل مشفرة يبثها الأديب السّاخر في نصوصه ليسعى بعدها المتلقي لفك تلك الرموز و الشفرات و القيام بعملية التأويل و إعادة انتاج النّص على اختلاف أنواعه (شعر، قصة، رواية، مقال...)

يعد "سعيد بن زرقة" أحد هؤلاء الكتاب و المبدعين الذين عُرفوا بأعمالهم السّاخرة الساعية لنقد و كشف عيوب الواقع، فهو ككل كاتب ساخر إنسان ثائر لا يرضى الرضوخ و الاستسلام و من هنا جاء اختيارنا لأعماله _ النقائض، قلة أدب، الزربوط _ لتكون موضوع دراستنا تحت عنوان الأدب الساخر رؤى و جماليات أعمال سعيد بن زرقة أنموذجا"

و قد جاء اختيارنا لهذا الموضوع لعدة اعتبارات و أسباب تراوحت بين هو ذاتي و ما هو موضوعي، أما الذاتية فميولي نحو الفكه و السّخرية و اعتبارهما سلاحا يخفف به الإنسان من حدّة أيامه العصيبة و يزيل شوائب النفس العالقة و قد حباني الله بشخصية ساخرة لها من روح الدعابة و المرح الكثير.

أما الموضوعة فرغبة منا لتسليط الضوء على هذا النوع من الأدب وسبر أغواره و كشف حمولاته الدلالية و محاولة الاطلاع على أدبنا المغيب عن الساحة الأدبية العربية واثراء المكتبة الجزائرية .

من هذه المنطلقات تمخضت دراستنا لتحيلنا على إشكالية رئيسية تمثلت في أين تكمن جمالية الأدب الساخر في أعمال الكاتب الجزائري سعيد بن زرقة؟

تتفرع هذه الإشكالية المحورية عن تساؤلات جزئية آتية:

- ماهية السخرية و ما مدى تداخلها مع مفاهيم أخرى كالفكاهة و الهجاء و غيره؟
- هل نجح الأدب الساخر في تسليط الضوء على الأوضاع السائدة و تقويم الاعوجاج؟
- هل نجحت التجربة الأدبية الساخرة في الجزائر؟

و لهيكلة هذه الدراسة اعتمدنا الخطة التالية:

أولا مدخل بعنوان السّخرية "مفاهيم و مصطلحات" عرجنا فيه على ماهية السّخرية و أهم المفاهيم التي تتقاطع معها.

لنخصص الفصل الأول الذي حاء بعنوان" الأدب الساخر بين المفهوم، النشأة والتطور" للحديث عن الأدب الساخر نشأته و تطوره و الوظيفة التي يؤديها لإصلاح المجتمع

أما الفصل التطبيقي فكان بعنوان" آليات الأسلوب الساخر في أعمال سعيد بن زرقة ومقاصدها الدلالية"، حاولنا من خلاله كشف الآليات و الاستراتيجيات التي اعتمدها كاتبنا في خلق مفارقاته و بث الدلالة فيها وإلقاءها للمتلقي ليعيد إنتاج النصوص بما يتماشى و فهمه لها

لننهي دراستنا بخاتمة شملت أهم النتائج التي تم التوصل إليها

و قد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب في هذا المقام لدراسة هذه الظاهرة و استنطاق الدوال لاكتشاف الدلالة.

واستلزمت دراستا الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع حرصنا على انتقائها والتنويع فيها ليكون للبحث مصداقية كافية لعلّ ابرزها كتاب الفكاهة و الضحك "لعبد الحميد شاكر" و كتاب السّخرية في الأدب الجزائري الحديث لصاحبه "محمد ناصر بو حجام"، و كتاب الأدب السّاخر "لنبيل راغب".

أما عن العقبات و الصعوبات التي صادفناها خلال دراستنا التزامنا بالتدريس و عدم القدرة على التوفيق بين العمل و البحث في بادئ الأمر، كذلك عجزنا عن الوصول إلى المراجع اللآزمة من مكتبة الجامعة نظرا لبعض المشاكل كالعطل المسبقة عن مواعيدها.

و في الختام لا بدّ لنا من تقديم خالص الشكر والامتنان للأستاذ القدوة ميلود قيدوم الذي ما كان لهذه الدراسة أن تنتهي لولا ملاحظاته القيّمة و اخلاصه الكبير في توجيهنا ومد يد العون، فكان لنا نعم الأب و نعم الموجه و المربي.

و كما لكل حصان كبوة، فكل دراسة لا بد أن يعتريها شيء من النقص و الخطأ و ما نرجوه أن تحقق هذه الدراسة الغاية المتوخاة، فإن كان ذلك فبفضل الله و لله الحمد و المنّة و إن لم يكن فعزائنا أننا قد أخلصنا العمل و النية وبذلنا الجهد، و على الله توكلت و إليه أنيب و الحمد لله الذي وفقنا لهذا.

المدخل:
السّخرية
مفاهيم
و مصطلحات

إنّ الضحك أمر ضروري بالنسبة للإنسان، إذ تنزع إليه النّفس فتجد فيه تسلية لأوجاعها و آلامها و طمأنينة وراحة تنشرح لها الصدور.

فلموضوع السخرية تأثير مهم في حياة النّاس، وذلك لارتباطه بظاهرة غاية في الأهمية، فحياة الإنسان في حاجة ماسة إلى الضحك والترفيه وبدونه تغدو الحياة جافة ثقيلة يصاحبها الجمود والرتابة، فارتبط الضحك عامة بالهزل والتهكم و الفكاهة و كل ذلك مرتبط بالسّخرية.

فعُنصر السّخية في الأدب أحد العناصر الفاعلة التي يلجأ إليها كثير من الأدباء والكتّاب باعتبارها «...ممازجة وتوليفة تجمع بين النّقد، الهجاء، التلميح، التهكم، الدعابة والضحك، بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة أو أي شيء وتعريته بإلقاء الضوء على الثغرات والسلبيات و أوجه القصور فيه »[1].

وهذا يستوجب منا استهلال الدراسة برسم الحدود اللّغوية وضبط المفاهيم الاصّطلاحية، وبيان طبيعة السّخرية و صورها.

1_ مفهوم السّخرية:

1_1 السّخرية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: « سخر؛ سخر منه وبه سخرًا ومَسخَرًا و سُخرًا بالضم و سُخْرَةً وسخْرَيًّا وسُخَر ... وسخرية: هزئ به و يقال سخرت منه ولا يقال سخرت به، والسُخرة: الضحكة ورجل سُخرة: يَسْخرُ بالنّاس، ويقال سَخَّرْتُه بمعنى قهرته وذللته »[2].

---

[1] – نبيل راغب: الأدب الساخر، دار مكتبة الأسرة، مصر، د ط، 2000، ص 109_110.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتويع، بيروت، لبنان، ط 06، مج 04، مادة (سخر)، ص 352.

كما وردت لفظة سخرية في قاموس المحيط: « سخِر منه و به سَخْرًا و سَخَرًا و مَسْخَرًا و سُخْرًا: هَزِئ، والاسم السّخرية والسُّخرِيُّ و السِخْرِيُّ.

سَخَرهُ سِخرِيًا وسُخريًا: كلّفه ما لا يريد وقهره. و هو سُخرةٌ لي وسُخْرِيٌّ و سِخرِي رجل سُخَرةٌ: يسخر من النّاس، سَخَرَتِ السفينة: طابت لها الريح و السيّر»[1].

من خلال هذه الدّلالات المعجمية يمكن القول أنّ السّخرية تحمل عديد المعاني فنجد على سبيل المثال الاستهزاء، التذليل، السّخف، القهر والضحك، وبهذا جاءت جلّ المعاني ضاربة وموجهة سهامها للشخص المسخور منه بُغية تحقيره و إذلاله و حتى الضحك منه.

1_2 السّخرية اصطلاحا:

تعددت وتنوعت مفاهيم السّخرية عند الدّارسين والباحثين، منها ما ورد عن "شوقي ضيف" فهو يرى السّخرية ضربا من ضروب الفكاهة فيقول:« الّسخرية أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، و يستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم و هي حينئذ تكون لذعًا خالصًا، وقد تستخدم في رقة و حينئذ تكون تهكّما إذ يلمس صاحبها لمسًا رقيقًا»[2].

استنادًا لهذا القول نجد ارتباط السّخرية بالاستهزاء والنكاية وأيضا التهكّم، "فشوقي ضيف" يرى أنّ جلّ هذه الأنواع ماهي إلا ضروب من السّخرية و التي تندرج تحت عباءة وأصل واحد ألا وهو الفكاهة، فإن ارتبطت السّخرية بالذّكاء و الخفة اعتبرت فكاهة، أما إن ارتبطت بالفلسفة سميت استهزاء وأيضًا تهكّما إن كان أثرها رقيقا خفيفا على النّفس.

---

[1] – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1999، مادة (سَخَرَ)، ص 365.

[2] – شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، دار المعارف، مصر، د ط، 1988، ص 10.

وقد ميّز "شوقي ضيف" نوعا من أنواع السّخرية المتمثل في التصوير الساخر (الكاريكاتوري) واعتمده كضرب من ضروب الفكاهة « التصوير السّاخر(الكاريكاتوري) الذي يقف عند جوانب الضعف في جسد شخص أو في وجهه وبكبّرها كأنّما يريد أن ينمي الضعف أو العيب الذي يكمن فيه إلى أقصاه...»[1].

هذا النوع من السّخرية يقوم على الصورة التي يتناول بها الفنّان أو الرسام الشخص، من تنافر في أوضاع الجسد و تشويه للخلقة وما ينجم عن ذلك من طرافة و إضحاك ونشوة بهيجة

في حين يذهب "نعمان محمد أمين طه" إلى أنّ السّخرية هي نقد الغرض منه الإضحاك وتبيان مواضع العيب و السوء سواء في الشخص ذاته أو في مجتمع ككل « السّخرية عامة هي النّقد الضاحك أو التجريح الهازئ و غرض السّخرية هو النّقد أولًا والإضحاك ثانيًا، و هو تصوير الإنسان تصويرًا مضحكًا إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه الذي لا يصل إلى حد الإيلام أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب من حيث سلوكه مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة »[2].

فالسّخرية انطلاقا من هذا المفهوم؛ هي أداة إجرائية يعبّر بها الأديب أو الكاتب أو الفنّان عن نظرته إلى المجتمع، فهي تصوير الإنسان والمجتمع تصويرًا مضحكا عن طريق التشويه أو تفخيم العيوب و إبرازها بطريقة جالبة للضحك باعثة عليه.

---

[1] – المرجع السابق، ص 13.

[2] – نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الأدب العربي، جامعة الأزهر، مصر، ط 01، 1978، ص 09.

و عليه فالغرض الأول للسّخرية نقدي بحت « و لا شك أنّ فنّ السّخرية يُربي في النّاس مَلَكَة النّقد و يوقظ فيهم الوعي بأخطائهم و حماقاتهم...»[1].

فالسّخرية فنٌّ كباقي الفنون لا من أجل التنفيس والترفيه فحسب بل من أجل النّقد ونشر الوعي و مواجهة الواقع بتداعياته وحمولاته، فهي تؤدي وظيفة نقدية بالدرجة الاولى.

وهو الرأي الذي حذا حذوه" محمد ناصر بو حجام" في تعرضه للسّخرية بقوله أنّها « طريقة فنّية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء و مواقف ذات رؤية خاصة، وبصيغة فنّية مميزة، و هي أسلوب نقدي هازئ هادف في التّعبير عن أفعال معينة، كعدم الرضا بتناقضات الحياة و تصرفات النّاس، و كشف الحسرة و المرارة بطريقة غير مباشرة بعيدا عن العاطفة الجامحة والانفعال الحادّ، قصد الإصلاح و التقويم و التغيير نحو الأحسن، و طلبًا للتنفيس عن الآلام المكبوتة»[2].

إذ يضيف "محمد ناصر بو حجام" المشهد الواقعي و الراهن المعيش في تجلي فنّ السّخرية باعتباره فنّا أدبيا معبّرا عم الواقع وأيديولوجياته و آراء أصحابه بطريقة فنّية جمالية خاضعة للذكاء و اللّباقة في تبيان عدم الرضا و التذمر من الراهن.

ما يلفت الانتباه تضارب مفاهيم السّخرية لدى النقاد والباحثين، فقد عدّها البعض هجاء من أمثال "محمد حسين" في كتابه الهجاء و الهجاؤون و "عبد الرحمان البرقوقي" فيقول: « يكون الهجاء مع فظاظته وخشونته نوعا من السّخرية وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس

---

[1] – نبيل راغب: الأدب السّاخر، مرجع سابقن ص 23.

[2] – محمد ناصر بو حجام: السّخرية في الأدب الجزائري الحديث، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط 01، 2004، ص 32.

المهجو من الضيق والألم فإنه يثير الضحك...»[1]. والبعض الآخر يراها لذعا وتهكما «... فاللّذع والتهكم لونان من ألوان السّخرية»[2].

مما سبق ذكره آنفا حول مفاهيم السّخرية يبدو لنا جليا أنه من الصعب بما كان الإحاطة المطلقة بهذا المفهوم الزئبقي إحاطة شاملة جامعة، وهو ما دعا إليه العديد من الباحثين على أنّ السّخرية هي فنّ حيّ متجدد بقولهم: « لا يمكن تعريف شيء من الأشياء على وجه الأرض تعريفا جامعا مانعا، لأنّ الشيء الحيّ لا يمكن الإحاطة به وتصويره ببعض ألفاظ قاصرة إذ هو حي متحرك»[3] غير أننا نستطيع أن نتلمس بعض الخصائص التي تبنى على العقل والفطنة والثقافة الواسعة الهادفة إلى النّقد بالدرجة الأولى و إبراز العيوب والإضحاك كوظيفة ثانية.

في محاولتنا لمقاربة مفهوم السّخرية نلحظ أنّ هذا المصطلح يتقاطع و عديد المصطلحات الأخرى من هجاء وتهكّم و فكاهة... لهذا وجب التطرق لهذه المفاهيم ومحاولة تبيان الحدود الفارقة بين كل مصطلح.

2_ بين السّخرية و التهكّم:

كان للغرب الحظوة والأسبقية في تحديد مفهوم التهكّم في الأدب في حين نجد «... أنّ العرب لم يولوه الاهتمام الأكاديمي والنّقدي الواجب، لهذا لا يزال هنالك خلط بين المفهومين _ السّخرية و التهكّم_»[4].

---

[1] – عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسّان بن ثابت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص 270.

[2] – شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، مرجع سابق، ص 10.

[3] – نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 14.

[4] – نبيل رغب: الأدب السّاخر، مرجع سابق، ص 41.

ارتبط مفهوم التهكّم عندهم بالمسرح الإغريقي« فقد برز مفهوم التهكم في فجر المسرح الإغريقي عندما ارتبط بشخصية نمطية في المسرحيات الكوميدية...»[1]، إذ نجد أنّ التهكّم قد ارتبط بشخصية معينة في نوع محدد من المسرحيات ألا و هي المسرحية الكوميدية « فالشخصية المتهكمة تستخدم من أساليب الدهاء وإظهار ما لا تبطن والتظاهر بالجهل والضعف والخيبة، ما يخفي حقيقة قوتها الكامنة التي تمكنها في النّهاية من قلب الموازين و وضع الأمور في نصابها الحقيقي»[2]، فالدهاء والذكاء والفطنة وادّعاء عكس ما يبطن الشخص من أهم مميزات الشخصية التهكمية القادرة على الانتصار والظّفر في نهاية المطاف.

أما عند "سقراط" فالتهكّم هو السؤال عن الشيء مع إظهار الجهل به «...و أول هذه الطرق أن تتجاهل حتى يظن أنّك جاهل، وأن تلقي على محدثك بعد التسليم بأقواله أسئلة تثير الشكوك في نفسه، حتى إذا انتقل من قول إلى قول أدرك ما في موقفه من التناقض واضطر إلى التسليم بجهله»[3].

من منطلق هذا القول نجد أنّ التهكم نوع من أنواع التّضاد، فقوامه أن يقول المرء عكس ما يود قوله صراحة، مصحوبا بنيّة السّخرية و الانتقاص من الآخر و عليه فنحن نجد في التهكّم نوعا من الزّجر والصّد و الردع العفوي، لكن أخف منهما وقعا و إن اتفق معهما في الغاية المرجوة و المتمثلة في التقويم و خدمة الشأن الخاص و العام « حيث يكون الدافع من التهكم الرغبة الملحة في الاصلاح و التقويم»[4].

---

[1] – المرجع السابق، ص 42.

[2] – المرجع نفسه، ص 42

[3] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار اكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982، ص 356.

[4] – شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، مرجع سابق، ص 50.

نجد أنّ التهكم قد اشترك في وظيفة النّقد بغرض الاصلاح و التقويم بأسلوب غير مباشر « التهكم اللفظي وهو نوع من الحديث الذي لا تعكس فيه الكلمات سواء بقصد أو بغير قصد ذلك المعنى الحقيقي المقصود منها»[1]، وعلى هذا فقد عدّ الكثير من الدارسين السّخرية و التهكم شيئا واحدا؛ ذلك أن كل منهما يقوم على التلاعب اللفظي بغرض التقويم والنّقد.

وخلاصة حديثنا عن علاقة التهكّم بالسّخرية يمكن القول أنّ التهكّم لون من ألوان السّخرية، غير أنّه نوع خاص من الانتقاد السّاخر يتميز عن السّخرية بخصائص و صفات و أساليب؛ فالسّخرية تهدف للإصلاح على الصعيدين الفردي والجماعي و هو ما يميّز التهكّم أيضا، غير أنّ هذا الأخير يحمل طابع اللّطف و الرقة، على عكس السّخرية التي تحمل طابع القسوة و اللّذع المر.

لا سبيل إلى تجديد الذّات الفردية و الجماعية على السواء و الارتفاع بمعنوياتها و تخليصها من مظاهر القهر و الكبت و الإحباط إلاّ بالعودة إلى الفطرة الإنسانية التي ترينا و تدلنا إلى أنّ الإنسان لا يبكي فقط و لكنّه يضحك أيضا.

إنّ النظريات التي تناولت الفكاهة كثيرا ما ركّزت في مجملها على عوامل معينة تربطها بالضحك، غير أنّ كلمة فكاهة « قد حار الباحثون في وضع تعريف دقيق لها والسبب في ذلك كثرة الأنواع التي تضمنتها فيما بينها؛ إذ تشمل السّخرية واللّذع والتهكّم والهجاء و النادرة والدعابة و المزاح والنكتة و التورية والهزل والتصوير السّاخر الكاريكاتوري»[2]. غير أنّ الفكاهة ليست ذاتها السّخرية.

3_ بين السّخرية و الفكاهة:

[1] – نبيل راغب: موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر نونجمان، مصر، ط 1، 1996، ص 113.

[2] – شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، مرجع سابق، ص 10.

يطلق مصطلح الفكاهة عادة على « تلك الكتابات الكوميدية التي تجعل من موضوعها مثارا لضحك القارئ، و ذلك للتفرقة بينها و بين تلك التي يتمي بالسّخرية و التهكم و التي تتعامل مع عقل المتلقي قبل أن تثير انفعالاته الحسّية...»[1].

وعليه فإنّ مصطلح الفكاهة يمكن أن يطلق على اي شيء من شأنه أن يثير ميل الإنسان إلى الضحك، غير أنّ هذا الضحك غير مشروط بالحاضرة الذهنية والعقلية للمتلقي، فالفكاهة لها دور واحد لا يتعدى إثارة الانفعالات الحسّية لمتمثلة في الإضحاك، إذ لا ترمي الفكاهة إلى إحداث الألم و السوء بالآخر، فهي بمثابة سهام توجه لكشف قبح معيّن دون الحاجة لإحداث الضرر بالآخر.

هناك العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين رفضوا ربط الضحك بأحاسيس الاشمئزاز والاحتقار والاستهزاء وأصروا على « أنّ الضحك والفكاهة نوع من البهجة والمرح»[2]، فنجد من خلال هذه الآراء أنّ الفكاهة مرتبطة بالضحك العفوي الذي لا يبين نيّة الإساءة أو السّخرية.

إن استطعنا أن نتفق على أن الضحك هو الأصل العام لكل من السّخرية والفكاهة يمكن أن يفيدنا هذا في فهم العلاقة بينهما؛ فالسّخرية و الفكاهة من حالات الضحك، فإن كان الغرض من القول أو الفعل لغاية الإضحاك فحسب عدّ فكاهة و قد يكون بقصد اللّذع والإيلام و التقويم فهي سّخرية غير أنّ هذه الأخيرة قد تجمع بين الغايتين_ الإضحاك و التقويم_«...أريد بالفكاهة كل باعث على الضحك من فنون القول و إن اختلف الاسم»[3].

---

[1] – نبيل راغب: الأدب السّاخر، مرجع سابق، ص 53

[2]– المرجع نفسه، ص 54

[3]– أحمد محمد الحوفي: الفكاهة و الضحك (أصولها و أنواعها)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2001، ص 07.

فالسّخرية فكاهة، و التهكّم فكاهة، و الهزل فكاهة، و الاستهزاء أيضا ضرب من ضروب الفكاهة فهي ذلك الكل الجامع

استنادا إلى ما ذكر حول العلاقة بين المفهومين (السّخرية و الفكاهة) نقول إنّ السّخرية والفكاهة مصطلحان متماثلان من حيث الأصل، فهما نابعان من مصدر واحد ووحيد ألا وهو الضحك، فإن كان كلامنا بدافع الإضحاك لا غير عُدّ ذلك في صنف الفكاهة، في حين إن تجاوز الكلام معناه الظاهر إلى معناه الباطن وقُصِد من ورائه نقدا و لذعا وإصلاحا للفرد والمجتمع واستدعى حضورا عقليا و ذكاء المتلقي أُدرج ذلك في باب السّخرية و التي بدورها لا تخلو من ضحك.

نخلص إلى القول بأنّه لا يمكن للسّخرية إذن أن تكون هي التهكم و لا الهجاء ولا الفكاهة وحدها بل هي شيء أسمى من ذلك، فهي سلاح للتقويم والإصلاح وتعرية الواقع وكشف نقائصه وعيوبه، و للوقوف أكثر على الفروقات بين ما ذكر من مفاهيم تتقارب وتتقاطع مع مفهوم السّخرية، ارتأينا إلى الاستعانة بجدول توضيحي كالتالي[1]:

[1] – عبد الرحمان الجبوري: السّخرية في شعر البردوني (دراسة دلالية)، المكتب الجامعي الحديث، العراق، ط01، 2011، ص 13.

اسم المصطلح	الباعث	المجال أو الموضوع	الهدف و الغرض
السّخرية	_ الافراج عن النفس _ التعريض	_ نقائص الناس و عيوب المجتمع	_ الاصلاح _ بيان التفوق
الفكاهة	_ الترويح	_الطبعة الانسانية	_ الإضحاك
التهكّم	بيان الواقع	_ سوء السلوك	_الانتقاص و التحقير
الهجاء	_ الإيلام _ العِداء	_ الأخلاق و السلوك	التحقير الانتقام

4_ أنماط الّسخرية:

قسّك الباحثون و الدّارسون من علماء الغرب السّخرية إلى تقسيمات عدّة انطلاقا من مرجعيات وخلفيات متباينة، فالبعض قسمها من حيث تأثيرها و البعض الآخر من ناحية موضوعاتها ونجد قسم آخر حدّدها انطلاقا من الطرائق و الأساليب المعتمدة فيها، وأهم مصنف تنال جلّ هذه التقسيمات هو كتاب "دوغلاس ميويك" عن السّخرية.

1.4 تقسيمات دوغلاس ميويك (Douglas Muecke) للسّخرية:

قسّم دوغلاس السّخرية في كتابه The Comas Of Ironyعدّة تقسيمات انطلاقا في بعضها من ناحية الأنواع و الأنماط، و بعضها من ناحية درجات السّخرية و بعضها من ناحية التأثير و البعض الآخر من ناحية الموضوع و هي:

1.1.4 السّخرية اللّفظية (Verbal Irony):

و قد ذكر منها نمطين أطلق على الأول ألوب الإبراز، أما الثاني فقد أطلق عليه أسلوب النّقش الغائر

« لا بد أن تتضمن السّخرية اللّفظية وجود صاحب السّخرية Ironiste؛ شخص يقوم بإحداث السّخرية أو شخص يوظف تكتيكا عن وعي و عن قصد متعمد»[1].

2.1.4 سخرية الموقف (Situation Irony)

« تختلف سخرية الموقف عن الّسخرية اللّفظية إذ تميل هذه الأخيرة إلى أن تكون هجائية، بينما تميل سخرية الموقف إلى أن تكون ذات صفة أكثر كوميدية أو مأسوية أو فلسفية »[2].

يمكن القول أنّ الّسخرية اللّفظية تستوجب حضور السّاخر و وعيه أما سخرية الموقف فإنها لا تتضمن بالضرورة وجود هذا الأخير، فهي مجرد حالة أو ظرف نتيجة لأحداث يمكن استشعارها تولّد الإحساس بالموقف السّاخر و حضوره.

---

[1] – بكير بن حبيلس: السّخرية في الأدب و ترجمتها من الفرنسية إلى العربية (رواية كنديد لفولتير أنموذجا)، رسالة ماجستير في الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 22.

[2] – المرجع السابق، ص 22.

2.4 تقسيم لوسي ديديو (Lucie Didio):

استعرضت هذه الباحثة في كتابها المعنون بدراسة سيمياء_ دلالية لظاهرة السّخرية_ صنف جديد يراعي باقي التصنيفات، إذ قسمت السّخرية إلى نوعين[1]:

- السّخرية الحوارية (Ironie Conversationnelle)
- السّخرية النّصية (Ironie Textuelle)

1.2.4 السّخرية الحوارية:

و تعنى بالحوارات و النقاشات و المبادلات اللّغوية بين شخصين فأكثر، حيث لا تتعدى فيها السّخرية الكلمة الواحدة، الصيغة الواحدة، أو الملفوظ الواحد،"« كما يطلق عليها أيضا اسم السّخرية التفاعلية (Ironie Interactive) ، لأنها تنشأ أثناء المبادلات الكلامية بين شخصين أو أكثر، و أهم مية للسّخرية الحوارية هو الدور المحوري الذي يلعبه التنغيم في اشتغالها »[2]

وعليه فإنّ السّخرية الحوارية تستوجب وجود شخصين على الأقل أو أكثر لتتم العملية التفاعلية ذات الكثافة ، السّخرية هنا تتم بكلمة و ملفوظ واحد لا تتعداه و لا يمكن استشعار هذا النّوع من السّخرية دون الاستعانة بالتنغيم أو ما يعرف بالإيقاع الذي تُحدده نبرة الصوت ارتفاعا و انخفاضا.

---

[1] – المرجع السابق، ص 33.

[2] – خضرة ناصف: السّخرية في النّثر الأندلسي (رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد الأندلسي)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018، ص 44.

2.2.4 السّخرية النّصية (Ironie Textuelle):

و تعني "لوسي ديديو" بهذا النّوع من السّخرية؛ تلك التي تكن في النصوص المكتوبة على اختلاف أصنافها سواء كانت أدبية أم لا مثل القصة، الرواية و القصة... تقول "لوسي": «تمتاز السّخرية النّصية عن السّخرية الحوارية بكون السّخرية النّصية تعد اعدادا مُسبقا للوصول لغاية ما، و هي بذلك نتيجة لتفكير عميق و تدبر طويلين، فالكاتب يختار الكلمات و الجمل و العبارات التي تنتج السّخرية، و يصاحب هذه العملية شطب الكلمات، و تمعن في استعمال ألفاظ دون أخرى (...) حتى يتوصل صاحب العمل إلى العبارة الصحيحة التي تُنقل بأمانة و دقة ما هو بصدد التفكير به »[1].

من خلال هذا القول تتضح لنا المقارنة التي أقامتها "ديديو" بين السّخرية النّصية و السّخرية الحوارية، فبينما تتمي هذه الأخيرة بالتلقائية و العفوية نجد السّخرية النّصية على العكس من ذلك؛ فهي ناجمة عن وعي و إدراك و إعداد مسبق، فاختيار الالفاظ و التراكيب في النصوص يجب أن يخضع للدّقة و التمحيص ليَبلُغ الفهم لدى المتلقي نظرًا لغياب عنصر التنغيم و هم ما يُميز السّخرية الحوارية.

نستشف مما سبق إلى أنّ أنواع السّخرية و أنماطها تختلف باختلاف الرؤية و الموضوع و حتى الأساليب و عليه لا يمكن الإحاطة بشتى تلك الأنواع بل من الصعب بما كان التطرق لكافة الأنماط التي اختلفت من باحث إلى آخر فاختلاف حقول الدراسة.

5_ صور السّخرية و أساليبها:

باعتبار أنّ السّخرية فنّ من الفنون و السّاخر نفسه أديب فنان ذو خيال مرن و عقل راجح وذكاء لمّاح و روح مرحة، فهو يسعى دومًا للابتكار و ابداع أساليب خاصة به ليوصل

[1] – المرجع السابق، ص 46.

مكنوناته و مشاعره و عصارة فكره و فهمه و يبلغ غايته المتمثلة في الوصول إلى ذهن المتلقي و إقناعه و تنويره بما تحمله أفكاره من عمق و كثافة دلالية، لهذا عدّ الاسلوب « قناة للعبور إلى شخصية صاحبه سواء منها الفنّية أو الوجودية»[1].

و الأسلوب خاضع لعدّة مؤثرات و عوامل حصرها محمد "بو حجام" في أصلين اثنين رئيسيين هما « شخصية الأديب و موضوع الكتابة »[2].

لهذا اختلفت صور السّخرية و أساليبها على مر العصور رصدناها الآتي:

_ السّخرية بالمحاكاة في الكلام و المشي و الحركات الجسمية و أنوع السلوكيات: أي في السّمات البارة التي تميّز شخصية ما من الشخصيات « و يعود السبب في كونه _ التقليد _ مدعاة للسّخرية؛ هو أنّ السّاخر المُقلد ينقل شخصية المُقلَد برمتها و يجعلها رداءًا له يلبسه و يتماجن به كيفما شاء»[3]، فهذا النّوع من السّخرية يعمد إلى دراسة شخصية المقلَد حركاته و سكونه و سلوكه و حتّى أسلوبه في الحديث أو الكتابة و غيرها و محاولة تقليدها تقليدا مضحكا يجعل المتلقي في تفاعل وتمازج مع المقلِد الذي تبنى مهمة التقليد السّاخر.

_ استعمال الصفات المعكوسة: و هي عكس ما يتصف به الشخص حقيقة، كالألقاب و أسماء الحيوانات كألقاب؛ مثل قولهم للسمين يا فيل، ثم استعمال هذا اللّقب بعد ذلك اسمًا يطلق على هذه الشّخصية وتُعرف به.

كما ترتبط هذه السّخرية بالأحوال و المسميات ترتبط أيضا بالمحيط، اي الجو الاجتماعي الذي يفهمه السامع أو القارئ.

---

(1) – محمد عام: الاسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1989، ص 10.

(2) – محمد ناصر بو حجام: السّخرية في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 209.

(3) – نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 37.

_ السّخرية بالصوت: بتلوينه ، رفعه، خفضه، و اعطاءه نبرات خاصة معروفة غالبا ما لا يفهمها السامع.

_ معالجة الشيء الحقير كأنّه عظيم: أو ما يسمى في أدبنا العربي « الذم بما يشبه المدح كمخاطبة القبح بقولك: القمر يغار منك و غيره، فالبعض يسمي هذا بالتهكّم »[1].

_ نجد أيضًا التعريض: يعدُّ من أشهر أنواع السّخرية، كما أنه أسلوب يعتمد على التعبير غير المباشر و اللّعب بالمعاني من غير أن يكون بين المعاني تلاؤم مشروط و «هو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه، وإنّما يقصد معنى آخر و ليس بين المعنيين تلازم »[2].

نجد صورة أخرى من صور السّخرية و أساليبها هي:

_ المُجابهة: وهي مواجهة الشّخص بعكس ما يتوقع؛ و من ذلك سرعة جواب السّاخر و هو ما عُبّر عن من خلال هذا القول « يحاول المستهزئ في بعض الأحيان إمعاناً منه في الزهو بنفسه أن يدخل في روع الهزأة أنّه حقا ذو شأن، و خطر حتّى إذا ما اعتقد هذا الاخير ما أوهم به كشف المُداعب عن حقيقته فاختفت مسحة الجدّ من وجهه و راح يضحك ساخرًا من صاحبه الذي تُذهله المفاجأة حتى يحجم عن القول »[3].

_ السّخرية التراجيدية أو ما يعرف بالتو: و هي « العبقرية التي تجعل شخصا من الاشخاص يستعمل ألفاظ تعني شيئا ما بالنسبة إليه و شيئًا آخر بالنسبة للنظارة العارفين

(1) - ينظر: نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الادب العربين مرجع سابق، ص 38.
(2) – محمد ناصر بو حجام: السّخرية في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 215.
(3) – نعمان محمد أمين طه : السّخرية في الأدب الربي، مرجع سابق، ص 42.

بالحقيقة »[1]، فالتورية في اللّغة هي التستر و الاختفاء فيعمد الساخر إلى السّخرية المُبطنة التي لا تكتشف إلا للعقل اللّماح الذكي

و عليه تعددت أساليب السّخرية و صورها بما يعجزنا عن حصرها و عدّها، فهي خاضعة لخيال السّاخر و شخصيته و أسلوبه المُعرض دائمًا للتغيير و الابتكار و الإبداع.

غير أن السخرية وحدها لا يمكن لها أن تأسس لنا و تنشأ أدبا ساخرا بل تحتاج لعناصر أخرى تتداخل كلها و تتفاعل ضمن سياقات محددة و قراء معينين، و هو ما أحالنا لاكتشاف هذا النوع من الأدب _ الأدب الساخر_

[1] – أحمد عطية: سيكولوجية الضحك، دار الحياء للكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 01، 1947، ص 84.

الـفـصل الأول:

الأدب السّاخر بين المفهوم النشأة والتطور

أضحى الأدب مستعصيا عن الحصر، ذلك أن مفاهيمه تتعدّد وتختلف ولا تستقر على حال، فالأدب آداب والمفهوم مفاهيم، ومن ثمّة فإننا بإزاء مفهوم تاريخي متحوّل متغير بتغير العصور، متبدل بتبدل مشاغل القراء ومشاربهم وأحوالهم وبيئاتهم و مرجعياتهم الفكرية والثقافية.

فالأدب الساخر هو الجنس الأدبي الابداعي الذي أهمل وظل عصيا على التصنيف والاستقرار في مرجعية محددة، ليس كغيره من الأجناس لما يحتاج من ذكاء ولمّاحية ووعي مطلق، إضافة الى متانة في المبنى والمعنى.

إذ تختلف السخرية باعتبارها عنصرا فاعلاً في هذا النّوع من الأدب وبين الأدب السّاخر كمفهوم شامل « هناك فرق بين الأدب الساخر كمفهوم شامل سواء على مستوى الشّكل والمضمون و بين عنصر السخرية الذي يمكن أن يوظفه الأديب في عمل من أعماله بالإضافة الى عناصر أخرى»[1] ، فليست السّخرية وحدها من تشكل الأدب السّاخر وتقيم دعائمه المتينة، بل هي تفاعل مع عديد العناصر الأخرى.

1_ ماهية الأدب السّاخر

1.1 مفهوم الأدب السّاخر:

إنّ الأدب الساخر لا يعني الكتابة المضحكة ولا يعني الضحك من أجل الضحك بل يتعدى ذلك، فهو أدب ذو رسالة وحمولة أيديولوجية وموضوع، فالكاتب السّاخر يقدم رسالة توعوية فاضحة للزّيف والهموم والمشاكل التي تحاصر المجتمع في قوالب نصّية هزلية باعثة على الضحك المؤلم والسّخرية السوداء.

[1]– نبيل راغب: الأدب السّاخر، مرجع سابق، ص 09.

« الأدب الساخر في مفهومه العام لا يمتدح الجمال بل يعري القبح ويضعه مكانه الصحيح ويُظهر الحقيقة العارية، إذ يعتبر خليط من التمرد على الأمور غير المرغوب فيها وانتقاد لما يحصل في الدنيا من مشاكل على مختلف الأصعدة سواء الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية، في قالب هزلي يجعل المتلقي يقرأ الطرح الأدبي السّاخر بدهشة و إعجاب»[1].

تعقيبا على هذا نستطيع القول أن الأدب الساخر وسيلة وسلاح مجابهة ومقاومة يسعى من خلالها الأديب إلى توجيه الطعن و النقد لكل قبيح غير مرغوب فيه «... الأدب الس ذاخر أو الفنّ السّاخر عموما أحد علامات التحذير من أخطار الممارسات الخاطئة، أو هو شكل من أشكال المقاومة».

وقد تناوله عبد العزيز شرف بمصطلح مغاير تحت مسمى الأدب الفكاهي، فاعتبره أكثر ألوان الأدب استهواء للناس، الذي لم يلق الاهتمام الجاد في الدراسات النقدية والأكاديمية، غير أن ما يلفت الانتباه في هذا المقام استعماله لقصة الفكاهي بدل الساخر، إذ أن هذه التسمية تتضارب مع ما تم عرضه سابقا في تعريفنا للفكاهة ووظيفتها التي لا تتجاوز الإضحاك، والسؤال هنا هو هل يعني هذا أن الأدب الساخر أدب باعث على الضحك لا غير أم أن الأمر متعلق بمفهوم الفكاهة عند عبد الزيز شرف؟ فالفكاهة من منظوره أعم وأتم تندرج تحت لواءها كل مظاهر السخرية والهجاء والدعابة والهزل فهو يرى أن هذا النوع من الأدب « وسيلة لتجديد الذات والبعث من جديد كونه أدبا باعثا على الضحك وما يحمله هذا الأخير من وظائف تطهيرية وتحفيزية»[2]، فمبعث التسمية إذن راجع للغاية التي يحققها هذا اللون الأدبي، وتأكيد على هذا نجده في موضوع أخر يوسمه بالأدب الضاحك يقوله: « وربما كان في مقدورنا أيضا أن نفسر ما يقوم عليه الأدب الضاحك من تضاد

---

[1] – سناء الحافي: الأدب السّاخر يه عرش الظالمين بين الفكاهة و التمرّد، جريدة رأي اليوم، 2016/12/11، htt://www.raiLyoum.com، اطلع عليه يوم 2019/02/28، 23:00.

[2] – ينظر نفس المرجع، ص 02

وتطابق في البناء والوظيفة(..) و هنا يصبح التضاد أكثر دلالة على جوهر هذا الأدب الذي يصدر عن حالة نفسية تبعث على الضحك و تسعى إليه»[1]

وهنا نشير إلى التضاد الذي يقوم عليه هذا الأدب، وهو الجمع بين المعنى وضده ليسوق لنا جوا من المرح والضحك، فهو الغاية الأسمى للأدب الفكاهي حسب زعمه.

وقد عرفه "عبد الحميد شاكر" تعريفا يميل إلى الدّقة نوعا ما، فيرى أن الأدب السّاخر « نوع من التآلف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس انتقاد الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية فردية كانت أم جماعية وكأنها عملية رصد أو مراقبة لها، ويكون في أساليب خاصة منها التهكم أو الهزل أو الإضحاك، كل ذلك في سبيل التخلص من خصال وخصائص سلبية»[2]

يتضح لنا أنّ الأدب الساخر عمل جاد عكس ما يروج له، فهو خطاب ثقافي أيديولوجي قائم بالأساس على رصد الرذائل والنقائص والعيوب وتسليط الضوء عليها باستخدام أساليب شتى بغية الاصلاح والتقويم والتوجيه نحو السبيل السوي، فهو ضحك جاد على حد قول "عبد القادر المازني" « الساخر حينما يتناول المضحكات أحيانا ويمزح و يسخر و يركب الأشياء و الناس بالهزل فإنّ هزله أبدا مبطن بالجد و هو لا يقصد إلى الهزل في ذاته»[3] فهي أشبه ما تكون بالمراوغة التي يخلقها النّص الأدبي الساخر غبر لغة تجسّد وجوده ودلالاته وأيديولوجياته ليحفر في صحراء الجدية ويقول ما يعجز عنه النص الجاد الملتزم، فليست كل المشارب واحدة وليست كل المتع العقلية ذات مصدر واحد؛ فهناك من تأسره حكمة القول وهناك من تسبيه عين الفكاهة و السّخرية، وهو ما أومأ إليه " الجاحظ " قبل

---

[1] – المرجع السابق، ص 02.

[2] – عبد الحميد شاكر: الفكاهة و الضحك (رؤية جديدة)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د ط، 1978، ص 51.

[3] – عبد القادر المازني: حصاد الهشيم، دار الشعب، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 306.

قرون حين كشف عن أغراض هذا الأدب قائلا « ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء تبيين حجة طريفة، أو تعرف حقلية لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة وأنت في ضحك منه إن شئت، وفي لهو إذا مللت الجدّ»[1] فليس الضحك معادلا موضوعيا للأدب الساخر فقد تجد في طياته حكما وعبرا وحججا فيصير حينها الضحك وقارا و المزح جدا، فكأنما رأى و هو العارف بنفسيات البشر و ميولاتهم المختلفة أنّ في مداركة الجدّ و مواصلة الكدّ العقلي تعبا وعنتا مبالغا فيه فنفخ في كتابه ذاك من روح الدعابة و السخرية الكثير.

يذهب "نبيل راغب" مذهبا اخر فيرى « الأدب السّاخر على انه شكل فني وفكري يختلف في لهجته وتوجهه ومنهجه عن كل أساليب التعبير الأخرى»[2]

وبحسب رأي الناقدة "رفقة دودين" فإنّ « الأدب الساخر جنس أدبي يمتلك شروطه الموضوعية و رسالته الأخلاقية والجمالة (...) وقد ارتبط الفنّ والابداع السّاخر بالموقف المغاير السائد والمهيمن»[3] ، وهو أشبه ما يكون بثورة وجذوة نار متقدة يسعى من خلالها الأديب إلى اجتثاث الظلم و تعرية الواقع بصرخات مبطنة وآلام مكتومة محشوة بالمرارة.

غير أنّ الكاتب الساخر "أحمد الصباغ" له وجهة نظر أخرى « فهو لا يعد الأدب السّاخر تصنيفا وجنسا مستقلا ولكنه أسلوب خاص في الكتابة، فنقول رواية ساخرة أو قصة ساخرة إذا كتبت بأسلوب ساخر»[4].

---

[1] – أبو عثمان الجاحظ: البخلاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1938، ج01، ص 27.

[2] – ينظر نبيل راغب: الأدب الساخر، مرجع سابق، ص 10.

[3] – توفيق عابد: الأدب الساخر في الأردن من أنجح التجارب العربية، نشر يوم 2018/08/10، الموقع الالكتروني: http//www .aljazeera.net، اطلع عليه يوم 2019/03/13،على الساعة:00:28

[4] – ينظر الأدب الساخر رؤية يكشفها الأدباء الشباب، المجلة العربية، دار امتياز، السعودية، د ع، 2010، ص 401.

و إذ ما تتبعنا حركة هذا الأدب وجدناه لا يخرج عن أطر و قوالب معروفة ومتعمدة من رواية وقصة وشعر ... وهذا ما يدعونا إلى الاتفاق معه في أنّ الأدب الساخر ليس نوعا جديدا بقدر ما هو طريقة و أسلوب كتابة تطغى عليها السّخرية الناقمة والأسلوب التهكّمي اللاّذع، فتُعرض الأحداث فيه بطريقة لا مباشرة تدعو لإعمال العقل والتركيز على فحوى النّصوص لاستنباط الرسائل المشفّرة التي يرسلها الأديب الساخر لقرائه، وهذا لا يمنع من رسم الابتسامة لدى القارئ العادي، فهو أدب شعبوي نخبوي « عادة ما يوجه الكاتب المتخصص إلى أهل تخصصه، ولكن الكاتب السّاخر يتفوق على هذا بأنّ جمهوره هو الشعب كله الغني والفقير، العامل والعالم، المثقف والجاهل، كل من هؤلاء يرغب في تخفيف حدّة الأيام و الضحك والسّخرية من الواقع الذي زادت صعوبة التغلب عليه ومعايشته، بل إنّه أحيانا تختلف طريقة تلقي القارئ للنّص، فمن الممكن أن يطرح الكاتب نصه الساخر على عدة مستويات للتلقي، فيبتسم منعدم الثقافة على النكتة، و يضحك متوسط الثقافة على التشبيه ويقهقه المثقف على الرمز»[1].

فالأديب السّاخر يقدم أنساق مضمرة على مستوى نصّه لا يمكن الكشف عنها إلاّ بعد قراءات متكررة، فتلعب الثقافة ودرجة الوعي الحد الفاصل في ذلك، غير أنّ للقارئ البسيط نصيبه أيضا من المتعة والترفيه، فاللّغة في يد الكاتب السّاخر على وجه الخصوص صلصال يشكلها كيفما شاء مادام يملك مقومات تشكيلها، فالأهم في كل هذا أن تصل الرسالة وتؤدي الغرض المنوط بها.

[1] – المرجع السابق، ص 401.

1_2 الأدب السّاخر و الكتابة الساخرة.

في معرض حديثنا استطعنا الوصول إلى مفهوم أو فلنقل مقاربة مفهومية للأدب السّاخر بكونه عمل أدبي نقدي ذو حمولة أيديولوجية فكرية، يسعى من خلالها الأديب بأسلوبه السّاخر إلى رصد العيوب والنقائص المتفشية في المجتمع أيا كان بالتلميح والتوضيح لا التصريح والتجريح. و السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يمكن اعتبار كل ما يكتب ويطرح من مؤلفات أدبا ساخرا ؟

هناك فرق كبير بين الكتابة السّاخرة والأدب السّاخر طبعا « فتمة كتابات ساخرة لا تمت للأدب السّاخر بصلة ويمكن القول أنها تشبه عرض حال مختوم بجملة من الطوابع»[1] فالكتابة التي تخلو من قضية ما و هدف لا يمكن اعتبارها ذات قيمة انسانية لها أساسها و بنيتها و رسالتها السامية، فالأدب السّاخر يأتي نتاج مهارة بالغة في اسقاط التعابير واصطيادها بخفة قادرة على صنع الضحك المرير في قالب فنّي يعتمد على التكثيف والاختزال.

وعليه يمكن للأديب الساخر أن يسقط في مستنقع التهريج والسخافة إذ ما تخلى عن لغته ولباقته الأدبية والقضية التي من أجلها يكتب « إنّ الأدب الساخر يختلف عن الكتابة الساخرة، فما عرفناه في تراثنا العربي من كتب الأدب الساخر مثل " نوادر الجاحظ " و" المستطرف في كل فن مستظرف " و " تاج العروس " و غيرها يختلف اختلافا كبيرا عن نمط الكتابة اليوم كون ما يفرز اليوم أشبه بتوظيف بعض السخرية في الفنون الأدبية

[1] – زياد العناني: الأدب السّاخر، جريدة امارات اليوم، د ع، نشر يوم 2009/8/5، الموقع الالكتروني: https//www.emaratalyoum.om، اطلع عليه يوم 2019/3/29، الساعة 01:45.

والصحفية أيضا»[1] ، " فالجاحظ " قد نقل انطباعاته إزاء أحداث عصره فهي أشبه ما تكون بالتوثيق الفريد الناجم عن عقل واع يحلل و يناقش و يطرح القضايا المسكوت عنها بنبوغ و طريقة ساخرة تهدف إلى خلق الوعي و تطوير الفكر و هو عكس ما نصادفه اليوم من كتابات أُدرجت ضمن الأدب الساخر زورا وبهتانا لانعدام الرؤية الواضحة لهذا الأدب، فكانت كتاباتهم أشبه بالتهريج وطريقة ساذجة في الإضحاك، فالأدب الساخر دون رؤية محددة و قضية هادفة يعد من باب العبث و الترف الذهني.

1-3 وظيفة الأدب السّاخر:

إن الحديث عن وظيفة الأدب عموما يقضي بنا إلى الحديث عن مهمة الأديب وعلاقته ببني جنسه و تغيّر وظيفة الأدب في كل حقبة اجتماعية، إذ ترتبط وظيفة هذا الأخير بنمط العلاقة الناشئة بين العمل الأدبي و جمهوره، أي ايضاح أثره في المتلقي، و انطلاقا من هذا يمكن اعتبار أن هناك عدّة وظائف للأدب (تطهيرية، تقريرية، خلق الفائدة، جلب المتعة و الترفيه ...)

والمطّلع على الأدب الساخر يجد أن وظيفته لا تخرج عن إطار وظائف الأدب المتعددة بين النّفعية والجمالية، مستفزا بذلك القارئ لسبر أغواره والغوص في فضاءاته فهو أدب جامح، ينتظر المتلقي الكفء ليفهم جماليته ويستخلص من بين ثناياه أنساقه المضمرة ويكشف رموزه ويفك شفراته.

« فالهدف الأول للأدب الساخر هدف تصحيحي تقويمي على المستويين الأخلاقي والجمالي»[2]، إذ يسعى بأسلوبه اللآمباشر إلى اصلاح المجتمع و تطويره و تسليط الضوء

---

[1] – صقر الصنيدي: الكاتب السّاخر و المهرج، المجلة العربية، دار امتياز، السعودية، د ع، 2010، ص 135.

[2] – نبيل راغب: الأدب الساخر، مرجع سابق، ص 10.

على نقائصه و عيوبه « بهدف تنويرهم ومساعدتهم على تكوين رأي عام تجاه قضية معينة...» إذ يسعى لتدارك الأوضاع الراهنة وخلق آفاق فكرية واجتماعية وانسانية، وبث الوعي لدى المتلقي فهذا النوع من الأدب لا ينمو إلا في بيئة معينة « و لعل الأدب الساخر يظهر عندما يصبح التناقض حادا أو عدائيا إلى حد انتحاري، حينها يتحول الأدب الملتزم الذي يعري و يكشف و يفضح إلى أدب ساخر متهكّم واع لطرائقه وأساليبه المتجددة(...) لتكريس هذه السّخرية ضد معطيات الواقع التعيس»[1]

فبنفس المقدار الذي يغوص فيه الأدب في المرارة والسّخط والحزن والعذاب عاكسا ومفسرا بأسلوبه أبعاد المشكلة فإنه يمتلئ ويملأ الآخر بالأمل والتفاؤل والثورة، عاملا على خلق وعي ناضج يخرج من سكون التراكم إلى شغف التغيير والانتفاضة عن كل تقليد، فهذا التناقض بين الواقع و ما يكتب هو ما يغذي تلك المفارقة و يغري الأديب الساخر لإنتاج نصوصه، فكلما ضاقت مساحة و حرية التعبير تحول الأدب السّاخر إلى أدب سوداوي ولغة رفض فاضحة للإحباط و القمع.

والمقصود بالمفارقة هنا قول المرء نقيض ما يعنيه أو أن تقول شيئا و تقصد غيره فهي أشبه بقول شيء بطريقة تستفز عددا لا نهائيا من التأويلات المختلفة « فهي توازن بين الجدّ و الهزل أو بين التصور و المألوف»[2]، وهذا ما يفعله الأديب الساخر، فهو يتحدى الواقع ويُلبس حلمه لباسا ساخرا يفضي به إلى تطلعات مثلى و أمنيات مستحقة؛ فهو يتعاطى مع الواقع بعكس ما يصَدره هذا الأخير من بؤس و قهر ليكسر بذلك أفق توقع المتلقي، فيجهز بذلك أرضية خصبة لتمرير رسالته الناقمة المريرة، هي مجازفة ومسؤولية

---

[1] – طه المتوكل: حدائق إبراهيم (أوراق إبراهيم طوقان و رسائله و دراسات في شعره)، م 1، المؤسسة العربية للدّراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 137.

[2] – إ. ريتشارد: مبادئ النقد الأدبي، تر: مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د ط، 1963، ص 321.

تلك التي يلقيها الأديب على عاتق قرائه، فكأنما يتبرأ و هو الأب الشرعي لنصه ليتبناه الآخر _القارئ _ و يعيد تأويله بما يتماشى والراهن المعيش.

فيبقى النّص في عملية خلق و بعث تحددها الرؤى المختلفة و المرجعيات و المشارب المتنوعة.

ولأنّ السياسة تسربت إلى كل شيء ولونت كل شيء وأحاطت بنا من كل صوب، فقد تسربت بدورها إلى الأدب السّاخر فأصبح أنواعا: سياسيا، إنسانيا، اجتماعيا أيضا « كان للأدب السّاخر دور هام في مجال الإصلاح وتقويم اعوجاج السّلطة وإبراز فساد الإدارة، من خلال إبراز أخطاء الحاكم و سقطاته و زعزعة ثقة الجماهير به و بأدواته »[1]، فهو بذلك منفذ للمقهورين و المقموعين جراء ما تقوم به الأنظمة السياسية الحاكمة، ولم يعد الإصلاح مقتصرا على جانبه الاجتماعي فحسب بل تعداه ليشمل جانبه السياسي أيضا.

فكلما اشتدت مرارة الحياة ووطأتها لجأ الإنسان إلى السّخرية و الضحك كشهقة ترفض الاستسلام، و هذا الفعل الطبيعي انتقل إلى الأدب، فكانت لحظة ولادة أدب لا يعترف بالقيود، أدب متمرّد على الواقع، محتج على السائد و البديهي و الأفكار البالية، فقد وجد في السّخرية قوة سحرية لردّم الهوة بينه و بين المتلقي من حيث سهولة تقبل النّاس له « فالأدب السّاخر إذا يقوم بوظيفة تطهيرية؛ حيث يزيل من النّفس أدران الهمّ و القلق و اليأس و الحقد و التشاؤم و الإحباط »[2].

في ضوء هذا الفهم نجد أن الأدب السّاخر وسيلة من وسائل تجديد الذات لدى الفرد و المجتمع على سواء، بما يبعثه من ضحك و متعة لا تخلو من مرارة، فالضحك في هذا

---

[1] – هشام جابر: النكتة السياسية عند العرب (بين السّخرية البريئة و الحرب النفسية)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 58.

[2] – عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، مرجع سابق، ص 5.

المقام نابع من المفاجأة والمفارقة التي يخلقها الأدب السّاخر و يدركها المتلقي « و هي عدم التناسب بين الشيء المضحك و الشيء الذي يخطر على البال أو يشبهه »[1].

فالإنسان يضحك إذا رأى تناقضا بين المفهوم والموضوع الواقعي و هو نفسه الذّي يسعى إليه الأدب السّاخر؛ فهو تعبير هزلي يخفي وراءه أمرا جديا.

الأديب الساخر لا يهدف فقط إلى نقد الواقع و تمرير رسائله الفكرية و قضاياه الانسانية، بقدر ما يسعى إلى التأثير النفسي في الجمهور و توعيته بأسلوبه الساخر الباعث على الضحك المعلن و التفكير المبطن، فالضحك طبيعة بشرية تلقى على الحياة ستارا من اللاّواقعية « لتزيح عن الانسان هموم حياته وتطهره من الشوائب وتدفعه للتفاؤل و الفرح»[2].

وتأسيسا على ما تم عرضه تصبح أهم وظيفة للأدب بأنواعه المختلفة أن يجعل التجربة الإنسانية تجربة أخاذة مشبعة من خلال ما يضفيها عليها من حيويّة

يقول "إروين إدمان" : « إننا نعمل من أجل الفراغ و ندفع من أجل السلام وليس العمل حلوا ولا السعي هادئا ، وإنّ إضعاف الحيويّة يغلّ أجنحة الشّباب كما يعوق القوة والنماء وحضرة الثقلاء تبعث السّأم في الحديث وتجعله ممجوجا وإن قبح شوارعنا وبيوتنا ومدننا لهو إعاقة واقعية لما يجب أن يكون مسرّة و بهجة دائمة لو شئنا الكلام على نحو مثالي»[3] ولعلّ هذا واحد من أهم الأسباب و الوظائف التي تدعونا إلى تأكيد حاجة العالم _ ونخص بالذكر هذا العصر_ إلى الأدب الساخر جنبا إلى جنب بموازاة مع ألوان الأدب والفنون الأخرى، من حيث أداء وظيفة تركيز الحياة وتقويتها و تجديدها وخلق حياة داخل حياة ،

---

[1] – ينظر عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، د ط، 2012، ص 66.

[2] – سراج الدّين محمد: النوادر و الطرائف (الفكاهة في الشعر العربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 5.

[3] – عبد العزي شرف: الأدب الفكاهي، مرجع سابق، ص 3.

وهي الوظيفة التي يتشارك فيها الأدب والفنّ، انطلاقا من فطرة الإنسان و حاجته الماسة للجمالية والفكاهية ضمن حاجاته الإنسانية الأخرى.

مما تقدم نخلص إلى أن مصطلح السّخرية انتقل إلى الفضاء الأدبي بكونه همزة وصل مع العالم الخارجي فهي قائمة على مبدأ التأمل والإبداع لما تحتوي عليه من تأرجح بين كفتى الجدّ والهزل، أما نظرة الأدب للسّخرية فكانت نظرة بلاغية ناقشت السّخرية في علاقتها بالصور البلاغية من استعارة و طباق و تورية و تضمين ... غير أنّ السخرية تميزت وخرجت عن تلك القوالب مجسّدة الضحك في بينتها والمعنى العميق في مواضيعها وطروحاتها فهي كما وصفتها " ليندا هيوتشكون" بقولها: « السخرية قطبية تلاعبية تتوزع دوما بين العدوانية و الإغواء»[1]، فعلى الإنسان الذي تؤرقه فكرة العدم و يحاصره الموت ويقض مضجعه شبح الفناء أن تدفعه فطرته إلى أن يجد في السّخرية علاجا ناجعا لهمومه ليبدّد هواجسه ويزيح مخاوفه.

2_ الأدب السّاخر النشأة و التطور:

إنه لفي غاية الصعوبة تحديد ووضع تاريخ دقيق لظهور الأدب الساخر في المجتمع الإنساني إلاّ أنّ ما يمكن قوله أن عنصر السّخرية قد تواجد منذ الأزل مع ظهور الأنا والاحساس بالفوقية ودونية الآخر ، « لتعرف بذلك السّخرية تطورا ملحوظا خاصة مع تشكل الجماعات البشرية و ظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلّط »[2]

و عليه فإن ظهور هذا النوع من الأدب يحتج لظروف و بيئة معينة لينموا ويزدهر ويتطور فيها، فكلما زاد القهر والظلم انتعش الأدب السّاخر.

---

[1] – ابتسام ليلة بن عيسى: ترجمة النّص السّاخر، رسالة ماجستير، جامعة السانية، الجزائر، 2012، ص 69.

[2] – ينظر سامية مشتوب: السّخرية و تجلياتها الدلالية في ي القصة الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمرين تيزي وزو، الجزائر 2012، ص 6.

2-1 الأدب السّاخر عند الغرب:

عرف مصطلح السّخرية ازدهارا فعليا بارتباطه بالفلسفة اليونانية، حيث اتخذها سقراط في دفاعه عن مفهومي _الحقيقة والعدالة_ ، دعامة أساس في حواراته مع السفسطائيين « فاصطنع في تعليمه الفلسفي شخصية الساذج الحذق و اختفى وراء قناع التجاهل و التواضع ، فكان أنموذجا للتهذيب عن طريق استعمال الحيلة و المغالطة في الايقاع بخصمه»[1]

فكانت السخرية إذ ذاك مرادفة للحكمة والدهاء ، و وسيلة تعليمية تهذيبية بعدها اجتاحت السخرية آفاق الأدب، و « اعتبر النقاد الكاتب الروماني لوسيلياس (103 ق م) رائد فعليا في هذا المجال فلم تكن كتاباته مجرد تعليقات ساخرة عابرة أو طارئة ، بل كانت سخرية أشبه بالمشط الذي يخترق أغوار النّفس و يستأصل ما يعيق العقل الإنساني عن جادة الصواب»[2].

كما ارتبط مفهوم الأدب الساخر بالقصائد الطويلة الزاخرة بالمواقف والصور القائمة على حوار من وزن شعري معين، فأولى بدايات الأدب السّاخر لدى الغرب كان شعرا متجسدا في قصائد مطولة تهدف إلى إدانة الرذائل والنقائص في المجتمع آن ذاك « وقد كان "هوراس" أول من ألّف النماذج الأولى للقصائد الساخرة التي تميزت بالرقة و اللّين»[3]

في القرون الوسطى نجد "راسليه" و "سرفانتيس" ، هذا الأخير استئصال فكرة الفروسية التي كانت مسيطرة على أوروبا في ذلك الحين في رائعته "الدون كيشوت" ، و« ينهج نهجه "بتلر" الذي سخر من المتزمتين و"رينيه" الفرنسي الذي كان يسخر من الذين يعنون بقواعد اللّغة والعروض عناية تطغى على الموضوع أما "موليير" فقد نقد أكثر صور المجتمع التي سادت عصره من بخل ونفاق ... كما يطل علينا في هذا العصر شيخ الساخرين الاجتماعي" برنار

---

[1] – ليلى العبيدي: الفكه في الإسلام، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 27،28.

[2] – ينظر نبيل راغب: الأدب السّاخر، مرجع سابق، ص 16.

[3] – المرجع نفسه، ص 16.

شو" الذي كرّس نفسه لهدم أكثر التقاليد البالية»[1] فكان لسخرياتهم غاية هي إصلاح المجتمع من خلال نقده .

كانت أعمالهم الساخرة إما في قالب مقالات أو قالب قصصي أو مسرحيات أو قصصا خالية كما عند "لوشيان" «... الذي تخيل وصف الرحلة إلى القمر و تصور قتالاً بين أهل الشمس و أهل القمر و " لافونتين " في خرافاته و إلى جانب القصص الخيالية تنبض القصص الواقعية التي تحاكي الحياة بأحداثها كما جاء في مسرحيات ملوبير و برنارشو»[2] اختلفت درجة السخرية عند الكتاب ، فكانت عند بعضهم حقيقة رقيقة هادئة ، وعند بعضهم الآخر قاسية عنيفة لا ترحم، « فمن النوع الأول كان باسكال وخطاباته و من النوع الثاني جوستاف فلوبير كما يمكن التمييز بين أدب ساخر ضاحك مستبشر متفائل و هي صفة غالبة على الكتاب الأمريكيين أمثال واشنطن أرفنج و مارك توين ، ويقابله الأدب الساخر الرزين المتشائم كما ظهر عند سويفت»[3]

فالأدب الساخر ليس أدبًا سطحيًا عابرا يمكن للقارئ العادي استيعابه في عجلة دون إعمال الفكر، بل هو أدب عميق يحتاج فطنة القارئ لاستساغه و فهم تلميحاته المبطنة ، لهذا قلّ ما نجد إقبالًا على هذا النوع من الأدب لصعوبته و غموضه في أحيان كثيرة .

2.2 نشأة الأدب العربي السّاخر

1.2.2 في العصر الجاهلي:

السخرية ظاهرة انسانية قديمة، لا أحد في وسعه تتبع و تحديد تاريخ نشأتها و ولوجها عالم الأدب، فبالعودة إلى « العصر الجاهلي نجد ندرة السخرية ، لان مشتقات الحياة بما فيها الترحال والعادات وقلة المصادر الطبيعية أدت إلى إرهاق جسدي لدى الإنسان العربي،

---

[1]– نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط 1، 1978، ص 54.

[2] – المرجع نفسه، ص 55.

[3] – المرجع نفسه، ص 56.

فجعلته بمعزل عن الفكاهات ، فكانت أساليب السخرية قليلة أو ضعيفة عندهم و لم يصلنا إلا القليل »[1] .

فالأسلوب الساخر إذن يترجم حاجة روحية في نفس الأديب يخلقها المجتمع و البيئة المحيطة و العلاقات المتشعبة مع بني جنسه، هنا تجد السخرية بيئة ملائمة لنموها غير أنّ ما عرفه الإنسان الغربي غير ذلك، كونه بعيدا عن الحاضرة و النبات فهو دائم الانتقال كثير الترحال بعيدا عن السخرية و مظاهرها.

هذا لا يعني خلو الأدب الجاهلي و الذي كان في مجمله شعرا من السخرية وأساليبها « ورغم وجود القليل آنذاك إلاّ أنها كانت مرتبطة بالغضب والهجاء والذم والتعريض ...»[2].

يمكن القول أنّ السّخرية كانت تتمظهر خاصة في الهجاء و قد وردت أمثلة قليلة في الأدب الجاهلي، و قد لا تدل قلتها إلا على ضياع كثير من الشعر و النثر في فترة ما قبل الإسلام وما وصل لا يعدو أن يكون هجاءً فظا مباشرا بعيد عن العمق و النضج و التعقيد تماشيا مع حياتهم البسيطة غير المعقدة نطرا للطبيعة القبلية والبيئية واندماج الشعراء داخل مجتمعاتهم.

2.2.2 في صدر الإسلام:

مع ظهور الإسلام تراجعت حدّة الهجاء ، حيث حُرِّمت الصراعات والنزاعات وانتهاك الحرمات والقذف ، خاصة و أنّ القرآن الكريم قد نهى عن السّخرية المفسدة التي تؤدي إلى الفضيحة والبغضاء ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن

---

[1] – ينظر رياض قزيحة: الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط 1، 1989، ض 78.

[2] – ناصر بو حجام: السّخرية في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 225.

يكونوا خيرا منهم ولا نساءً من نساءٍ عسى أن يكنّ خيرا منهن »[1] ، فالمنهي عنه هنا ليست السّخرية التي تؤدي إلى الإصلاح الاجتماعي و السياسي و لكنها المفسدة التي تجمع القذف و اللّمز و الظن السيء.

نشبت عدة معارك في هاذه الفترة بين المسلمين والمشركين « و استخدم فيها المشركون سلاح السّخرية إلى جانب أسلحة أخرى ضد الرسول صلى الله عليه و سلم »[2] فقد جُندوا شعراءهم للإساءة للدعوة المحمدية و التجريح في الإسلام و المسلمين ، فما كان من المسلمين إلا الرد بالمثل فطهر الهجاء السياسي الذي بدأ مع بداية انتشار الإسلام و اتساع رقعته.

نستخلص من هذا ان السخرية في العصرين الجاهلي و الإسلامي كانت خفيفة بسيطة غير عميقة أو حاملة لإيديولوجية معينة، بساطة حياتهم وتماسك روابطهم القبلية، وكان ظهورها مرتبطا بالشعر حيث لم يصلنا نثر كثير في هذين العصرين لنجزم بتواجد السّخرية في النثر أيضا .

3.2.2 في العصر الأموي:

أما في العصر الأموي ومع تفشي الصراعات السياسية و الخلافات الحربية ، برزت السّخرية وتطورت و « اتخذت طابعا سياسيا حزبيًا»[3] كما ظهر شعر النقائض الذي يمتزج بالسّخرية و من أقطاب السخرية في هذا العصر "الأخطل"، "جرير" و"الفرزدق" فقد نشبت بينهم

---

[1] – سورة الحجرات، الآية 11.

[2] – محمد أمين طه نعمان: السّخرية في الأدب العربي، مرجع سابق، ص 9.

[3] – حسن عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، د ط، 1974، ص 2.

سجالات هجائية ساخرة، « فنهضت النقائض على أساس قوي من السخرية عمادها فن إضحاك الجماهير بأسلوب استهزائي ساخر »[1].

إلى غاية العصر الأموي ظلت السّخرية مرتبطة بالهجاء يتخللها عنصر الإضحاك و تعمد الإساءة إلى المهجو بالقذف والنبز والسّب.

4.2.2_ في العصر العباسي:

أما في العصر العباسي فلا يختلف الباحثون و الدّارسون في حقيقة تطور و ازدهار الأدب نتيجة لاتصال العرب بالحضارات الأجنبية الفارسية ، الهندية واليونانية ، التي كان لها الأثر البالغ في الحياة العربية بمناحيها المختلفة بما في ذلك الأدب، فارتقت العقلية العربية وتفتحت على الحضارات ومظاهر الترف العقلي والثقافي وكان لهذا الأثر العظيم في تطور الأدب السّاخر، كونه أدبًا يكمن جوهره في تطور العقل الإنساني ومدى استيعابه ما حوله من مجريات و حيثيات و تمرده المستمر « برز العديد من الأدباء و الشعراء الذين اتّسم ادبهم بالسخرية كبشّار بن برد و أبي نواس ، ابن الرومي ، ابن المقفع ، الجاحظ ، و أب العلاء المعري و غيرهم»[2]

وهاهو "ابن المقفع" في كتابه كليلة و دمنة يَعمدُ إلى تنبيه الإنسان إلى حقه الضائع و العمل على استرجاعه من خلال حديثه عن الملوك، في قصة الملك والطير فنزة يقول مخاطبا الملك : « ترحًا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ، وويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حميم لهم ولا حيم ولا يحبون أحدا ، ولا يكرم عليهم إلا من يطمعون عنده في غناء أو

---

[1] – قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، دار مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 145.

[2] – ينظر محمد سالم: أدب الصنّاع و أرباب الحرف حتى القرن العاشر هجري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 271.

يحتاجون إليه فيفر بوجه عند ذاك و يكرمونه ، فإذا قضوا منه حاجتهم فلا ودا ولا إخاء ولا البلاء الحسن مجازى عندهم ، ولا الذنب مغفور و ليس أمرهم إلا الفخر و الرياء و السمعة»[1].

نستكشف من خلال هذا الطرح تغير موضوعات السّخرية فقد أصبحت موجهة لشخص تأمنه العامة و تسير على حكمه، شخص منزه عن النقائص و الرذائل في نظرهم ليأتي الأديب السّاخر فيطعن في شخصه و يشير بالبنان إلى رذائله ومكارهه بصورة مباشرة، و إن كان الإيحاء الأقرب و الأكثر فّنية و جمالية لهذا النوع من الأدب ، فهو دلالة على اكتمال شخصية السّاخر و تمكنه من اللغة عن طريق التلميح و التضمين كما سبق التطرق إليه سالفًا.

أما "الجاحظ" فقد سلك طريق اللين في التقريع و التقويم، طريق السخرية فقد تفنن في الأجوبة الممكنة و الغوص في أسرار النفس البشرية لما تميز به من دقة في الإدراك و رهافة في الحسّ و خصوبة في الخيال ، فعالج موضوعاته بسخريته المعهودة ليدفع عن القارئ سأم الحياة و عبئها الثقيل « لقد كان الجاحظ عالمًا بمعارف عصره و إماما من أئمة الكلام (...) و أديبا يكتب عن رهافة في الحس وخصوبة الخيال وقوة الملاحظة و دقة في الإدراك و قدرة على التغلغل في دقائق الموجودات و تمكن من العبارة الحية النابضة و التصوير الكاشف البارع الذي يبرز الصورة بشتى ملامحها و ظلالها في بساطة و دقة و جمال»[2] .

فقد جمعت صفاته شخصية الأديب الساخر في تعامله مع طروحات واقعه ، فقد كانت السخرية طابعه الخاص في الكتابة و الإبداع وقد سعى إلى خلط وممازجة الجد بالهزل في قالب أدبي لم يُعرف قبل الجاحظ بهذا التحليل و الدقة في التصوير البارع الباعث على الضحك العقلي .

---

[1] – عبد الله بن المقفع: كليلة و دمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص 209.

[2] – الجاحظ: البخلاء، مرجع سابق، ص 18.

و بالتالي فقد ازدهر الأدب الساخر في هذه المرحلة باعتبارها أسلوبا جديدا في نقد الواقع والتعبير عن قضاياه، فقد ظل يستقر و يتشكل حسب الشعراء والأدباء وشخصياتهم و بيئاتهم الاجتماعية وعلاقاتهم بالمحيط وما يعتريه من تغييرات.

5.2.2_ الأدب الساخر الحديث:

لم ينته الأدب الساخر بانتهاء العصر العباسي فقد كانت تلك انطلاقة فحسب و بقي رواجه حتى العصر الحديث ، ذلك أنّ الوطن العربي قد غرق في بحر المشاكل السياسية و الثقافية و الاجتماعية وويلات الاستعمار فوجد هذا النوع من الأدب المناخ المناسب لبروزه و انتشاره لما خلقه هذا الواقع المرير من غربة و انفصال لدى الأدباء، فهم يسخرون و يصرخون وقد تجسدت السخرية في الأدبيات الحديثة بلونين : « لون كئيب ناتج عن إحساس عميق بالهوة و العبثية من الوجود و الموجودات ، فكانت السبيل الوحيد للشك و تقويض كل شيء –لون بهيج ضاحك يكتفي بالمداعبة و تحليل ظواهر الأشياء و الأشخاص بقصد الإضحاك »[1] فالضحك أضحى سعادة الفقراء المؤقتة و علاجهم المجاني.

وفد الأدباء والشعراء السّاخرين في القرن العشرين " إيليا أبو ماضي " الذي سخر من تكبر الإنسان و تسلطه على أخيه و ما هو في الأصل إلا طين فقد قال في قصيدة الطين و التي توحي من خلال اسمها بالتهكم المرّ[2]

نسي الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيها و عربده

و كسى الخزّ جسمه فتباهى... و حوى المال كيسه فتمرّد

يا أخي لا تمل بوجهك عنّي... ما أنا فحمة و لا أنت فرقد

أنت لم تصنع الحرير الذي... تلبس واللؤلؤ الذي تتقلّد

---

[1]– ينظر خليل شرف الدين: الموسوعة الأدبية الميسرة، مرجع سابق، ص 115.

[2]– ديوان ايليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 318_322.

يمكن أن نستكشف من خلال هذه الأبيات تطور الأدب السّاخر في هذه المرحلة، فقد أصبحت موضوعاته أكثر عمقا و ضربا في الجدية والوجودية و الأنا ، إذ يستفتح الشاعر أبياته بتذكير الإنسان بأصله الحقير فهو طين مهين ، فإذا هو متحّير معربد متكبر يتباهى بلبس الحرير و كثرة الأموال فأضحى للأديب الساخر قضية مهموم بها ورسالة يود أن تصل فيغوص في ضمير الأمة و يحلل نفسية أبناؤه.

من الملاحظ أن الأدب العربي شعره و نثره من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث كان حافلا بالسخرية، كونها أداة فاعلة في مواجهة الواقع و مفارقاته، هاته الاستجابة لهذا الفن (الأدب الساخر) على مختلف العصور من قبل أدباء العرب تعني بلا شك تعبير عن مزاج أصيل تكوّن على مدى العصور عند الشعوب العربية و كتابها و مفكريها ذلك أن « الأدب الساخر تراث بشري تناقلته الأمم وتوارثته الأجيال طوال مكوثهم على الأرض، فلا تكاد تجد أمة ليس لها تاريخ في الأدب الساخر، ذلك أن النفس البشرية تبحث عن السعادة و البهجة و الترويح فهو موجود منذ الأزل حتى يومنا هذا»[1] و إن كان في طابعه المرير القاتم.

3.3_ واقع الأدب الجزائري السّاخر :

عرفت الساحة الأدبية في الجزائر الأدب الساخر كغيرها من الأقطار و لعل البدايات الأولى لهذا الأدب « كانت مرتبطة برواية الحمار الذهبي للأديب الأمازيغي "لوكيوس أبوليوس" التي ساهمت بشكل واسع في بروز هذا الفن»[2].

فقد وظّفت هاذه الرواية لغة ساخرة عالجت قضايا وأخلاقيات عدة، إذ تعد من الأدب العالمي الساخر الذي ظهر في القرن الثاني للميلاد .

أما في العصر الحديث و مع تواجد المحتل الفرنسي الذي مارس مختلف الوسائل لاستنزاف الثروات و القضاء على الهوية والثقافة الوطنية « ومع ظهور الحركة الاصلاحية بدأ الأدب

---

[1]– ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت، لبنان، ج 1 ، د ط، د ت، ص8،9.

[2] – محمد ناصر بوحجام: السّخرية في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 19.

الساخر ينمو ويتطور»[1]، فقد أضحى السبيل الوحيد لواجهة التزييف والتشويه الذي طال مقومات الهوية فكان للزاما على الأديب الجزائري التصدي لكل هذا و تجنب المواجهة العلنية والمباشرة في المقاومة و اخفاء النيّة المبيتة في توعية الشعب و تثقيفه وتكوينه .

فبرزت العديد من الأسماء على غرار "أحمد رضا حوحو" الذي يعده الكثيرون فجر القصة الجزائرية، فبمجرد دراسة أدب " أحمد رضا حوحو" والغوص فيه تستهوينا ظاهرة السّخرية التي كان لها الحظ الوافر في كتاباته، و التي وضّفها للتعبير عن خلجات روحه و سخط نفسه إزاء أوضاع بلاده «...السخرية التي انتقى منها الألفاظ المعاصرة و حرص على اصطياد المفارقات المضحكة في الأحداث والشخصيات»[2].

كما برزت شخصيات أخرى كالأديب الساخر "مصطفى فاسي" و "محمد زيتلي" من جيل الستينات و هي أسماء تعدّ على الأصابع إذ ما أردنا عدها و إحصائها « لم أجد في مجموع ما قرأته أسماء كثيرة اهتمت بالأدب الساخر كتوجه له طريقته الخاصة في التعامل مع المادة السردية ومع العالم الخارجي و بالمقابل فإننا نجد أنفسنا أمام مئات الكتاب الرومنسيين و الواقعيين الذين كانت لهم أشكالهم في الكتابة ، وقد نجد وفرة في هذا النوع لكننا لا نجد الكمية ذاتها عندها يتعلق الأمر على سبيل التدليل و التمثيل بالأدب السريالي و الأدب العبثي أو الوجودية الأمر نفسه ينسحب على الأدب الساخر»[3].

فلا يمكن الحديث عن تراجع الأدب الساخر أو انحساره لأن ذلك يحتاج إلى وقفة إحصائية عارفة ، وما يمكن قوله في هذا المقام أنّه ظل خيار أدباء قلائل لما يحتاجه من فنّية عالية وجهد مضاعف لنقل الحالات النفسية للشخوص أو الحديث عن القضايا

---

[1] – المرجع السابق، ص 79.

[2] – أحمد شريبط: تطور البنية الفنّية في القصة الجزائرية المعاصرة (الأعمال الكاملة)، منشورات مؤسسة بونة، عنابة، الجزائر، م 3، د ط، د ت، ص 91.

[3] – سعيد بو طاجين: الأدب الساخر لم يتراجع و لم يفقد مكانته التاريخية، جريدة النصر، د ع، 2015/2/16، على الموقع الالكتروني: www.annasronline.com، اطلع عليه يوم:2019/5/9، الساعة 03:53.

الاجتماعية، السياسية ...« الأدب الساخر يصدر عن مزاج نفسي معين و خصوصية في الشخصية الأدبية و الفكرية لا تتاح إلا لقلة من الأدباء و الكتاب »[1].

والأدب الساخر يزدهر حين يزدهر الأدب أولا و تزدهر الحركة الفكرية والثقافية ثانيا وحين يشعر الأديب أنه صاحب رسالة وأنه المسؤول عن تشريح الواقع بمشط قلمه و الدفاع عن قضية أمته ، لا الأديب المستغرق في رؤية ايديولوجية متزمتة ضيقة رافضة لبواعث التجديد و الانفتاح فقلما يصدر عنه لون جميل من الأدب الساخر « فالأدباء الكبار أصحاب المواهب و المهارات قليلون وهم على قلتهم قلما يكون لهم حضور مطرد (....) و المزاج المتجهم التوتر المنغلق هو المزاج السائد حاليا و الأدباء منشغلون بقضايا شخصية أو متخندقون في خنادق عصبية ضيقة يدافعون عنها بأمزجة عصبية هائجة قلما تتيح متنفسا للسخرية ممتعة»[2]

والأدب الساخر كغيره من الآداب يسعى لمقاربة الواقع نصيا و محاولة تغييره فهو من حيث الفكرة لم يغادر الساحة الأدبية و الواقع الجزائري.

4 شخصية الأديب السّاخر:

إنّ القادرين على السّخرية قلة قليلة في مجتمعاتهم و تظهر مقومات الشخصية السّاخرة في عدّة جوانب من خلال ما تقدم ذكره لعلّ أهمها:

_ الجانب العقلي: يتمتع السّاخر بجملة من الصفات العقلية كالذكاء و الجرأة و قوة الحيلة و الخيال الخصب و المنطق كذلك، بالإضافة إلى قدرته على الارتجال دون فكرة سابقة، كذا البراعة في الرد و الفطنة لخفايا الأقوال و الأفعال

---

[1] – عبد الملك بو منجل: السّخرية فنّ الأدباء الكبار و قد أوشك الكبار أن ينقرضوا، جريدة النصر، د ع، 2015/2/16، على الموقع الالكتروني: www.annasronline.com ، طلع عليه يوم: 2019/5/9، على الساعة 04:16.

[2] – المرجع نفسه.

أو ما يعرف باللّماحية؛ و هي أن يتوقف السّاخر عند صغائر الأمور التي لا يراعي لها الإنسان العادي بالًا.

_ الجانب النفسي: لابدّ للكاتب و الأديب السّاخر أن يتمتع بالهدوء و الصبر و رحابة الصدر و خفة الروح، و أن يمتلك أيضا شعورا مسيطرا وواضحا بالتفوق والاستعلاء فالإنسان المقهور الضعيف لا يمكن أن ينتج لنا أدبا ساخرًا بحق.

و خلاصة القول أنّ السّخرية ليست هي الأدب السّاخر؛ فالسّخرية موقف يتخذه البعض من موضوع ما بغض النظر عن صدق الموقف أو عدمه فهي عابرة تثير الابتسام لأنّ فيها خروجا عن المألوف، أما الأدب السّاخر فلم يكن مطلبه النهائي أبدا إثارة الضحك كما يتوهم الكثير و إنّما مقاصده جادة ضاربة في صميم العمق و النّضج متجاوزا التناقضات و الاختلافات إلى المسببات الخفية وراء ذلك، و من هنا يكون الأدب السّاخر إذ ما حافظ ووطّن نفسه على نقد الواقع و شخصياته و أحداثه مع الحفاظ على المسحة التي تعري الموضوع من وجهة تناقضه و تكشف عورته التي تكون مدعاة للسّخرية.

أما الحديث عن الأدب السّاخر و نشأته و أساليبه و أنماطه و أهدافه و دوافعه لتتداعى جميعها إلى الذّهن و تتداخل لتُعلن عن تلك الأصالة البادية فيه و المؤكدة انتشاره بين جميع الشعوب و في كل الآداب دون استثناء.

فالأقوال القديمة الشذرية الطابع ترقى إلى ما قبل اجتراح الكتابة و لعلّها تسبق في وجودها بدايات الشعر بكثير، فلا ندري على وجه التدقيق متى بدأت النوادر و النكات التي تعتبر النواة الأولى للأدب السّاخر عموما و لا يمكن أن يُنسَب هذا الأدب لأمة دون سواها فمنذ اتخذ الإنسان اللّغة أداة للإفصاح و طريقة للتواصل سواء إلى أداته تلك سوء التوصيل جهلا أو قصدا أو فلنقل انحرف عن أصل التواصل عجزا أو مكرا، فأضحك و أبكى ببلاغة واعية أو ببلاهة حمقاء ففي الحالتين نشأ الأدب السّاخر ليكون محاكاة و تعبيرا و خلقا و انعكاسا و مفارقة بالغة الحدّة و الذكاء.

الفصل الثاني:

آليات الأسلوب الساخر في أعمال سعيد بن زرقة

حين تكون الآلام عظيمة هائلة يبتسم المبدعون و لا يبكون ، لكنَّ ابتسامتهم موجعة قاتمة تنعكس في كلمات و مواقف ساخرة ، فالكتابة السَاخرة الناجمة فن صعب المراس يتوفر لقلة قليلة ، إذ لابدّ من النضج الفكري و الاجتماعي و الوعي السياسي كذلك .

ولعل "سعيد بن زرقة" من هؤلاء و ذلك بعد استقراء نماذج من سردياته الساخرة ـ **قلة أدب، النقائض** ، **الزربوط** ـ فيلاحظ المرء بعد الغوص في أعماله إن لم نقل الغرق وهي اللفظة الأنسب في هذا المقام فأنت تغرق في عالم من السُّخرية المرّة التي تستدل منفذ للحياة ورؤية ما لا يُرى و سماع مالا يُسمع تُحس و أنت المخاطب بوجع هاته السُّخريات و عُمقها ، فالكاتب يحمل كلماته الموحية الدّالة بدلًا من لغة الصدام و المباشرة ليُريك الحقائق و يجعلك تبكي بكاءً مريرا أو تضحك ضحكًا أشبه بالبكاء .

1 ـ أساليب و استراتيجيات سعيد بن زرقة السّاخرة :

1 ـ 1 المفارقة السّاخرة :

المفارقة قد تكون تعبيرًا انتقاديًا بعرض ملمحًا سلبيا في مبالغة فيُهون من شأنه ، أو طريقة لخداع الرقابة حيث أنها شكل من الأشكال البلاغية »[1] و عليه فنلاحظ كم خلال هذا المفهوم أنّ المفارقة تظهر و ترتكز على عنصر الخفاء لا التجلي .

1 . 1 . 1 مفارقة العنوان :

شكّلت عناوين سرديات **بن زرقة** ،**النقائض** ، **قلة أدب** ، **الزربوط** إضاءات لفحوى النّصوص التي احتوتها لتكشف بذلك الغطاء عن دلالات و حمولات نصوصه المتجاوزة لكل الطابوهات على اختلافها السياسية ، الدينية ، (...) .

---

[1] ـ على عاصم شحادة : المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي (دراسة في بنية الدلالة)الجامعة الإسلامية العربي ، ماليزيا، مجلة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مارس 2011 ، على الموقع الالكتروني: ouargla.dz-https://revues.univ ، اطلع عليه يوم : 2019/06/02م ، الساعة : 05:54 .

ينطلق الكاتب و الأديب لحظة الإبداع من سلطة و مرجعيات قَبْلية ، ينشأ منها موروثه اللّغوي و الفكري ، فيعبّر من خلال كتاباته عن رؤيا المتأملة الخصبة و آلامه المتعاظمة تاركًا للقارئ تلك اللّمسات التأويلية للقراءة الضمنية التي يُمارسها المتلقي متكِئًا بدوره على ذات المرجعيات ، و من هنا أتى العنوان **قلة أدب** ليُشكل مفارقة حادة و تزاوجا بين موروث الكاتب و المتلقي ، أو ما يُعرف بالوعي الجمعي في إدراك المحظورات التي يُمنع الالتفاف إليها و محاولة معالجتها و طرحها و لو تلميحًا فذلك من قلة الأدب و العرف و التقليد ، يتناول الكاتب مجموعة من المقالات السّاخرة أو كما يسميها صاحبها « سرديات بهوية حربائية و بنكهة تبدو ساخرة »[1] ، يناقش فيها سعيد شؤونا سياسية مسكوت عنها فيشير لتقاعص الحكام و خياناتهم المتكرّرة ، و ظلمهم للعباد ، فهو يشير في مواضع عدّة لبؤس الشعب و قهره و غلبة أمره « من شدّة بؤس الشعب تحولت الكبدة (...) إلى مصاف الكافيار و حليب العصافير لرفعة شأنها و رخص شأن المواطن »[2] ، إنّها سخرية مريرة لما وصل إليه المواطن من سوء الحال فقد أصبح شأنه أقل من ثمن قطعة كبدة ! .

في موضع آخر يواصل "سعيد" سُخريته اللّاذعة بنكهة سوداوية، ففي مقال بعنوان "الرّب ... الجزار و الحكومة" ينتقد فيها سياسة الدولة في تسيير شؤون البلاد وغياب المراقبة و الشفافية « ... بعد حول كامل ، تأتيه المفاجأة من المصالح الفلاحية ، في أنّ القرعة لاغية و أنّ محضر القرعة ضاع بين سبت عزيز و المدية »[3].يسرد الكاتب حيثيات قُرعة جرت في بلدية سبت عزيز التي استفادت من جرار واحد « استفادت بلديتكم من جرار واحد لا غير يشترط أن يكون مُستلمه فلاحا ، الرّجاء إفادتنا باسم

(1) - سعيد بن زرقة : قلة أدب ، دار فيسيرا ، ط1، الجزائر ، ، ص 07 .
(2) - المصدر نفسه : ص 32 .
(3) - المصدر نفسه : ص 43 .

الفلاح الحقاني عاجلًا »[1] .

هذا الطرح يحمل في طياته سُخرية مبطنّة ، فكيف يُمكن لبلدية بأسرها أن تحضى بجرّار واحد لا غير ؟ إنه تساؤل يبعث على الضحك ، فلا عجب إن ساد سوء التيسير البلاء و تغاضي الحاكم عن معاقبة المفسدين ممّن أكلوا أموال الشعب و نهبوا خيرات البلاد ، فالحاكم جزء من هاته الحلقة .

ينتقل الكاتب من السياسة و نقده للحكام إلى الدّين و سُخريته من بعض الممارسات التي تتم باسمه « شيخ بلديتنا هو عميد الشيوخ لكثرة العهدات التي وصلت إلى العشرة، فهو لا يعرف علامة قف ، يُحب شعار دعه يمرّ ، يفتح كل الأبواب بسهولة و يُسر ، يضع المسؤولين في جيبه من اللّقاء الأول (...) ، يعرف بلطجية القرية واحدًا واحدًا عيّنهم حراسًا في المقابر ...»[2] .

يطعن "سعيد" في شخص شيخ القرية و هو ؛ شخصية لها قُدُسيتها و مكانتها لما تُمثله من وقار و استقامة ومرجعية ، غير أنّ هذا الوصف الذي قدّمه الكاتب يُنافِي ذلك تمامًا فهو يعري حقيقة الشيخ الانتهازية المستغلة لمنصبها الحسّاس و كيف يتاجر هؤلاء بدين الله للكسب و الربح .

يتجاوز "سعيد بن زرقة" من خلال كلماته حدود الأدب حسب قوله ، فليس من الأدب في نظر هؤلاء الطعن في حاكم أو شيخ فالسياسة و الدين و الخوض في مجرياتهما ضرب من الوقاحة و السفاقة فمن يتجرأ ويُمارس حرية التعبير ويطعن في هؤلاء ، نُعِت بقلة أدب ، فقد غدت مساحة التعبير ضيقة فلا بد للمبدع أن يتحايل ليتجاوز المحظور، و يصرخ بصوت ملؤه الأمل و الرغبة الملحة في تقويم الاعوجاج و إصلاحه ، فما يراه النّاس تجاوز للحدود باعتباره تطاولًا على شخصيات ذات حصانة اجتماعية و قداسة

---

(1) - قلة أدب: المصدر السابق : ص 43.

(2) - المصدر نفسه : ص 128 .

دينية يَستوجب المساءلة و النقد كذلك فما طرحه كاتبنا في كتابه عين الأدب وميزانه .

ولعل جماليات المفارقة تكمن في التظاهر بغير القصد فقلة الأدب هنا ليست انتهاكًا لخُلق معين أو لحرمة ما بل هو تعبير حرّ ونداء استنكاري ونقد لواقع حال البلاد والعباد و ليس في ذلك قلة أدب ، إنما تكمن في أذهان من يأبون التغيير وإصلاح الاعوجاج .

1 . 1 . 2 مفارقة النص :

إنّ الكثير من لقطات **بن زرقة** السّاخرة تستند إلى آلية المفارقة اللّغوية التي تجعل العلاقة بين الدّلالة المباشرة و الدّلالة المنزاحة علاقة قائمة على التقابل الدلالي ، ولعلّ و لعلّ العناوين التي تحملها مقالاته و سردياته السّاخرة كما يجب أن يسميها هي من تخلق الفاصلة و تفتح لنا باب التأويلات و تعطي القارئ فسحة ابتكار المعنى المراد فيشارك الأب (الكاتب) وابنته (المتلقي) في انتاج دلالة الخطاب ، "الطفولة والتدويل" هو عنوان لأحد المقالات المدونة في كتاب **النقائض** "لسعيد بن زرقة" يقول « عندما كنت كتكوتا صغيرًا حدث وأن رشقت أطفال الجيران بالحجارة وأدميت وجوه أطفال زقاق سيدي الطويل »[1] . إنها مقدمة كلاسيكية نوستالجية ؛ إذ يعاود الكاتب حنين طفولته فيسرد بعض حيثياتها كشجار دار بينه وبين أطفال الحي « وأختفى على إثر هذه الدراما أيامًا بلياليها عن الأنظار وهكذا أشعر في كل حركة أخطوها أن عيون عفاريت الجيران ترقبني وتتبع خطواتي »[2].

يواصل سرد مجريات شجاره وكيف لهاته الشجارات أن تخلق في نفسه الرّعب والتشتت والترقب ، وكيف لهذا الاحتياط و المراوغة و الاستراتيجيات المحكمة المضبوطة أن توقعه في الفخ ليقع في النهاية ويُلقن درسًا قاسيا فينتقم الضحية من المعتدي عليه

---

(1) - النقائض، مصدر سابق ، ص 32 .

(2) - المصدر نفسه : ص 32 .

« وبالرغم من الاحتياط المحكم(...) أقع في الفخ وألقن درسًا في الركل و الخناق، فيسيل دمي وتدمى عيني»[1] تطبع البساطة مجريات السّرد عند سعيد فتأتي كلماته انسيابية عفوية غير مكلفة إنه لا يُراعي حُسن العبارة وفخامة الكلمات بل يسعى لبذخ من نوع آخر إنه المعنى الضمني الذي يسعى له بالتلميح الذكي دون اللّجوء إلى التصريح الفج متجنبًا الجُمَل العاطفية رَافضًا الاستسلام لغواية أي حال من حالات الهشاشة الوجدانية في البوح ، فيسعى لاستحداث الماضي بنوستالجيا العقل لا القلب لأخذ العبرة ، يواصل "سعيد" جرّ ذاكرته لأحداث صراعاته الطفولية ، و كيف لهاته الصراعات أن تتم و تُكتم أحداثها عن مسامع الأهل وتُحسم بين الأطراف المتنازعة دون اللّجوء لسلطة الآخر « و الذي يستفسر عن سبب إخفاء صراعاتنا الطفولية وصداماتنا الانتقامية ، نُجيبه بأن السبب بسيط بساطة الخلية ، حيث كنا نحسم قضايانَا بأنفسنا ولا يزيد أن تتحول معاركنا البريئة إلى مشادات أبوية ، فإلى حروب قبلية ، يسقط فيها ضحايا ويتنكد الشارع فيفقد بهجته (...) ويتحول إلى شيخ أصم أبكم »[2].

إلى حدّ هاته النقطة يقف المتلقي متبرمًا حاملًا لتساؤلات عدّة لا يمكن التملص منها؛ إلى أي مدى من السّرد يودّ الكاتب إقحامنا ؟ ، ما الذي يودّ الكاتب قوله و إيصاله من خلال هذا الطرح الساذج لقتال دار بينه و بين أطفال الحي ؟ .

لا تتحقق بنية السُّخرية إلا بوجود دال ومدلولين ، يكون الأول مباشرًا كما الحال في نصّنا هذا ، فهو نص خالي من أي غموض ، نص حر في ظاهر ، أما المدلول الثاني فيكون قصديًا وضمنيا ولابدّ والحال كذلك لكي تُحقق السُّخرية الهدف على مستوى الكتابة من تفاعل هاتين العنصرين ، فالسُّخرية تحضر في النّص من خلال مؤشرات وقرائن فقط ليأتي بعد ذلك دور المتلقي في تشيّيدها لتصبح محققة ومُتجلية في الذهن « بالرغم من حداثة سنّنا كنا

(1) - النقائض، المصدر السابق، ص 32 .
(2) - المصدر نفسه : ص 33 .

نرفض تدويل قضيتنا »[1] ، نعم تدويل القضية هل هي قضية شجار بسيط بين أطفال الحي أم أنّ القضية أكبر من ذلك بكثير ما الحي إلّا جزء من جغرافية وطن كامل ، وشجار الأطفال شجار الكبار ومن بيدهم القرار قرار الشعوب ومصيرها « في كثير من الأحيان تعجز النظريات عن حل القضايا (...) فهل المشهد الطفولي للولد الشقي مفتاح لحل إشكالية قائمة ؟ »[2] .

تكمن بؤرة المفارقة من خلال هذا النّص في العبث بذهنية المتلقي بإيهامه بحدث بسيط وأنّ هاته الأحداث غير ذات صلة بأمور أخرى ، كأمور وقضايا سياسية بحتة .

هذه الجملة الاستفهامية التي بها "سعيد بن زرقة" نصّه جاءت بطريقة ساخرة فاضحة فهو لم يقصد الحصول على جواب وإنّما كان يُريد أن يصل لهدف معيّن يُحقق به أغراضه السَّاخرة التي تدعو إلى التحقير والهزء بحكم العرب المنصاعين المنقادين بأوامر خارجية غريبة فكيف يعجز هؤلاء عن حل أزماتهم الداخلية دون تدخلات خارجية ، وكيف لأطفال الحي بسذاجتهم وبراءتهم أن يتفطنوا لتداعيات هاته التدخلات وما تُحدثه من مشاحنات ، هذا الاستفهام السّاخر هو دعوة للمتلقي لإعادة النظر في هؤلاء الحكام وقراراتهم وزرع الشّك والتحقير في نفوسهم اتجاههم وخلع رداء القداسة الوهمي عندهم .

فالمفارقة تحتاج تأمل عميق للوصول إلى التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الغائص في أعماق النّص وفضاءاته ، "فسعيد بن زرقة" من خلال كتاباته يسعى إلى إعطاء صورة في الذهن ومحاولة إسقاطها على الواقع الراهن، فلا يكمن جوهر المفارقة عنده في رؤية الأضداد فحسب ، بل في خلق التفاعل بين النّص والواقع ضمن مفهومها.

هذا ما نجده أيضا في نص بعنوان "الفاشوش في حكم قراقوش" ، حيث عرض فيها قصة قراقوش الفتى الخصي الذي جُلب من آسيا ليجد نفسه في سُدة الحكم ويُتوج بالإمارة

---

[1] - النقائض، المصدر السابق ، ص 33 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 34 .

« قراقوش حاول أن يكون عظيمًا عظمه صلاح الدين واجتهد في أن يكون فقيهًا ومرجعًا (...) لكنه فشل في كل الامتحانات وخس ركل المسابقات، واحتفظ لنفسه بصفة الأحمق »[1] .

يسرد "سعيد" حماقات قراقوش وسُخفه في إدارة شؤون الرعية دون أدنى إشارة منه لموضوع السُّخرية أو التهكم من شخصه هو بالذات ، فقد عمد إلى طرح بعض الحماقات التي أوردها ابن مماتي في كتابه تاركًا للقارئ مُهمة التحليل والاسقاط وكشف التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي ، الكاتب يستعرض حُمق قراقوش وينتظر من المتلقي

إسقاط صفات الحمق و البلادة و الظلم والجور على حكام العرب الذين تشابهت صفاتهم وتماثلت ، فقراقوش حي لم يمت ، و أن حكام العرب قراقيش العصر الحالي « إنّ المتأمل في سيرة هذا القراقوش سيكتشف بسهولة أن قراقوش لم يمت...»[2] .

تكمن جمالية المفارقة هنا في شد القارئ ومُحاولة تخليد الحدث في ذاكرته وذلك من خلال تعزيز التّواصل بين النّص و قارئه وعدم فصل القارئ عن واقعه المعيش فهي مفارقة تتسم بالتظاهر الحامل لمعنى داخلي يستنبط من سياق الكلام ، فسعيد بن زرقة لكثرة تجاربه وطول مراسه وتفاعله وخبرته بالحياة والنّاس ، استطاع أن يستنبط الأسرار ويستقرئ الظواهر والمظاهر ويتعمق بالأحداث معبرًا عنها بقلبه وعقله بكل موضوعية جاعلا من المفارقة السّاخرة سبيلًا إلى ذلك .

المفارقة إذن تعكس ذكاء الأديب، فهو الذي يضع تلك المفارقة في انتظار القارئ الذي يثير في نفسه تلك الأخيرة المتعة و اللّذة ، فالمتعة تكمن من خلال قدرة الأديب على

---

[1] - النقائض، المصدر السابق : ص 29 .

[2] - المصدر نفسه : ص 31 .

الجمع بين المتنافرات وصياغتها صياغة أدبية كما هو الحال عند **بن زرقة** الذي يحاول صهر هموم القارئ في إناء السُّخرية المرّة ليجعله يبتسم ابتسام المتحسّر من واقع سوادوي ضبابي.

في كتابه "قلة أدب" نص جاء تحت عنوان "مسعود في أمستردام" هذا العنوان العجيب المركب يحمل مفارقة هائلة ، فهو كفيل بخلق الاستغراب لدى المستمع لتنافر اللفظين ، فالأول اسم عربي تراثي وأمستردام بلد غربي مختلف بعاداته وأحكامه عن المجتمع العربي فكيف اجتمع الاسمان ؟ .

« من عين يوسيف بالمدية إلى بيروت طار الكاتب الصحفي مسعود النذير مكيد ، تصعلك في شارع الحمراء مدة من الزّمن ثم اشتغل في الصحافة (...) بعد جمعه لمبلغ من المال طار مرة أخرى إلى قلعة الشيطان حيث سجّل في أعرق جامعة هولندية »[1] ، فمسعود إذن كما أشار إليه العنوان رجل عربي استقر به الحال في عاصمة الشيطان أمستردام .

يفتح الكاتب نوافذ السُّخرية بطريقة تكاد لا تبدو جلية لاصطباغ النّص بطابع الجدية والسّرد المتواصل ، فهو يغالي إن صح التعبير في إظهار مواطن الجدّ بالإشارة لأهم الأبحاث التي توصل إليها مسعود من خلال دراسته لمقارنة الأديان ، فقد نوصل إلى اكتشافات لا تدع مجالًا للسُّخرية أو الهزء ، يقول مشير مشيرا لأهم ما عرضه مسعود في اكتشافاته « أغرب هذه الحوادث جرت في أمستردام المرضعة شوارعها بالآجر الأحمر (...) إن المخطوط يحكي بعبثية عن عظمة الشعب الهولندي الذي أخرج هولندا من الماء ، كما يحكي المقالات أيضًا عن شذوذ الزواج الأبيض وتدخين حشيشة (الجانجا) تقدّم في مقاهي كوفي شوب بلا رقيب و لا عتيد»[2] .

---

[1] - قلة أدب ، مصدر سابق ، ص 48 .

[2] - المصدر نفسه : ص 48 .

إننا نلحظ من خلال هذا السياق التضاد والمفارقة التي يريد الكاتب خلقها من خلال عرض أوضاع أمستردام المليئة بالمجون والشذوذ والانحلال وتطورها العملي والعلمي ؛ إذ لا بد للقارئ أن يرفض المعنى الحرفي استخلاص المعنى الجوهري ، فالكاتب يريد إسقاط النّص على بلدان العالم الإسلامي الذي يحرص فيها أهلها على الالتزام بالعبادات ونبذ الشذوذ والانحلال ومع ذلك يُعاني هذا العالم من التخلف والفقر والقهر ، فلا بد من إعادة بناء معاني جديدة تختلف والطرح المباشر الذي عرضه الكاتب ، فوظيفة هذا الأخير توجيه المتلقي إلى منبع المعاني لينهل منها ماشاء مُعيدًا تأويلها وإنتاجها من جديد ، فالعبادات وحدها لا تكفي للنهوض بالأهم إن لم يرافقها علم وحرص على الاجتهاد و التعبير .

إنّه ينتقد بطريقه ساخرة مبطنة وفي ذات الحين يتألم وينفطر قلبه لحال وطنه « ... شعار الهولندي افعل ما شئت لكن لا تؤذي هولندا »[1] ، فهو يتأمل من أبناء وطنه أن يحفظوا بلادهم أيضا وأن لا يؤذوها ، أمل مشرب بحسرة وألم عرضه من خلال هاته المفارقة السّاخرة المبطنة الحاملة لرسالة نبيلة ودرس في حب الوطن .

من هنا استوقفتنا جملة من المفارقات التي حملت دلالات مغايرة لما بدت عليه للوهلة الأولى ، فهي إذن إحدى الركائز الدلالية التي عوّل عليها كاتبنا في تمرير خطابه للقارئ وليس أي قارئ ؛ القارئ المتأمل المتفحص العارف بهذه الآليات والاستراتيجيات .

1 . 2 الحوار السّاخر .

ظهر الحوار جليا في سرديات "سعيد بن زرقة" ؛ لذا فهو يعد ظاهرة جالبة للنظر وجب دراستها وتتبعها ، فقد أتى الحوار صادمًا للأسلوب السَّاخر الذي طبع أعمال كاتبنا .

(1) - قلة أدب، المصدر السابق، ص 48 .

« الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب »[1]. ففي مقال بعنوان النيف الجزائري دار حوار بين الأستاذ محمد هيشور ورجل الأعمال مصري

« . أنت مش عارف أنا مين ؟

. تطلع مين إن شاء الله

. أرجل الأعمال الباشا أحمد بهجت الاسكندراني »[2] .

من خلال هذا المقطع يتضح لنا استعمال اللّهجة المصرية في نقل مجريات الحديث الذي دار بين الرجلين لخلق نوع المصداقية والسلالة في الطرح ، فقد بدأ الحوار بلهجة حادة بعيدة عن الهدوء غلب عليها أسلوب التحقير والاستخفاف والكِبر ، فرجل الأعمال يرى نفسه أعظم شأنا من محدثه وأرفع منزلة ليرد عليه الأستاذ وتشتد لغة الحوار ويتم التصعيد بعنف لتبرز السُّخرية المتوغلة في ثنايا الحوار

« . وأنت عارف أنا مين ؟

. تطلع مين إن شاء الله »[3] .

إنّ النّبرة التهكمية تخترق هاته المقطوعة الحوارية ؛ إذ يُمكن تحس مواطن السُّخرية والتحقير من خلال العدائية البارزة في طرح السؤال الاستنكاري ، حيث استطاع كاتبنا خلق صورة مستفزة جاذبة لانتباه القارئ ، فهو ينتظر من المتحدث إماطة اللثام عن شخصه ومكانته

(1) - يحيى زمزمي : الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنّة ، دار المعالي ، عمان ، الأردن ، ط 2، د ت ، ص 32 .
(2) - سعيد بن زرقة: النقائض ، مصدر سابق ، ص8.
(3) - المصدر نفسه ، ص 9 .

التي جعلته في موقف المتحدي لخطابه ذو المنزلة المرموقة والجاه المكين ليأتي بعدها التصريح في جواب الأستاذ « أنا محمد هيشور الجزائري ..»[1] .

إنه جواب ساخر مهني فقد أراد محمد هيشور أن يؤدب رجل الأعمال ويريه مكانته الحقيقية وأنّه يوازيه بل ويفوقه عزًّا ومجدا فهو الجزائري في شموخه ونيفه فأتت لفظة الجزائري في مقابل لفظة الباشا التي تدل على رفعة المكانة ، وهي كلمة متداولة في المجتمع المصري عامة الذي يتسم بالطبقية الشنيعة .

أراد هيشور أن يجعل محدثه يشعر بالتحقير من خلال جوابه السّاخر الذي جاء بسيطًا غير مكلف مؤدبا مقومًا لسلوك الغطرسة، هنا فقط أدرك الرجل أن المال عند الجزائريين لا يصنع نيفا « وأنه لا فرق بين قارون في أعلى الهرم والشعبي في قاعدته إلا بالتقوى »[2] هذا هو الجزائري الذي يرفض الخضوع والانحناء « لقد كنت يا أخي محمد أسمع عن نيفكم والآن أصبحت أراه !! »[3] ، إنه تصريح تابع عن فهم الرسالة التي أراد الكاتب إيصالها من خلال هذا الحوار الذي اتّسم بالسُّخرية المبطنة المؤدية لرسالتها التقويمية التصحيحية .

نجد التقنية نفسها ـ الحوار السّاخر ـ يستعملها في موضع آخر ففي مقال بعنوان بطاقة في عيد المرأة يستعرض موضوع حول نون النسوة « عندما كتب عبد الله بعفوية الساذج ويروح التسامح موضوعا عن نون النسوة حاول فيها أن يتحرر من عقدهِ دفعة واحدة »[4] وكيف لهذا المقال أن ينزل على صاحبنا أنواع البلايا والمتاعب ليحاول في مداخلة ومحاورة تصحيح أقواله في حق النساء :

- ما هو تعريفكم للمرأة ؟
- مسلسل من العنف و اللّطف

(1) ــالنقائض، المصدر السابق، ص 09 .
(2) ـ المصدر نفسه ،ص 09 .
(3) ـ المصدر نفسه ، ص 09 .
(4) ـ المصدر نفسه، 38 .

- ما رأيك في تحرر المرأة ؟
- إذا لم يتحرر الرجل عندنا فمطلب حرية المرأة باطل
- هل تقبل بأن تحكمك امرأة ؟
- أفضل أن يُسيرني روبو على أن تسرني امرأة.

تبنى الكاتب في حواره موضوعًا حساسا فهو على درجة واعية بدور المرأة وأهميتها البالغة في بناء المجتمع بطريقة ذكية مثيرة، فيأتي بأجوبة ساذجة من باب السُّخرية وانعكاس لنظرة المجتمع الدونية للمرأة، فهذا الصحفي هو جزء من مجتمع حامل لأفكار بالية وعادات كبّلت تفكيره ؛ إذ يرى المرأة مجرد كائن يتصف بالعداوة جينا واللّطف أحيانا وأن دورها جد محدود بل إنه يكنّ لها العداوة ويسعى لتطهير النماذج الشاذة

- في عيد المرأة .. ماذا تقول للمرأة الجزائرية ؟
- تمنياتي لها بالسعادة في عيد الفطر المبارك وتقبل الله صيام الجميع »[1] .

تبدو الإجابة مطعمة بسخرية لاذعة واستخفاف بالغبن ، فالمذيعة تسأله عن عيد المرأة ليجيب هو عن عيد آخر عيد الفطر متمنيا أن يتقبل الله صيام الجميع ، فالرجل غير معترف بهذا العيد الذي زاحم أعيادهم المتعارف عليها ، فهو يسخر بشكل غير مباشر من خلال تجاهله لمضمون السؤال وجوابه المفتعل .

يعد الحوار هنا من التقنيات التي ساعد حسن توظيفها لأنَّ تكون وجها لوجه مع المتلقي دُون أن ينوب عنها السارد ليُعبر عن رؤيته فقد أوكل مهمة ذلك لشخوصه الحوارية التي خاضت في موضوع المرأة ونظرة المجتمع القاصرة لها .

[1] - النقائض، المصدر السابق، ص 39 .

تمضي نصوص بن زرقة مازجة بين الحوار والسّرد والوصف ، لكن تبقى آلية وتقنية الحوار جلية معبّرة ، فقد منحت نصوصه بُعدًا دراميا واضحًا وتعددا في الأصوات والرؤى التي حاول نقلها إلينا بأسلوبه السّاخر .

3.1 توظيف التراث:

يتجلى التراث بكونه عنصرا أساسا تنهض عليه سرديات "سعيد بن زرقة" و ترتبط بشخصياته إذ يهدف كاتبنا إلى إبراز ما في نصوصه من علاقات ذات صلة بالقيم الانسانية من جمال وقبح و بطولة و ما يتصل بها من مفاهيم و صفات، و هي على اختلاف حسب درجة اوعي الجمالي لدى القارئ، فقد تناولت نصوصه مكونات تراثية كانت وسيلة سعى من خلالها الكاتب لمقارنة الماضي بالحاضر و محاورة الواقع في إطار التجاذب بينهما.

وظف الكاتب شخصية "ابن بطوطة"، فإلى جانب تطلعاته لما جاد به التراث العربي نجده يتلذذ بذكرها بين الفينة و الأخرى على صفحات سردياته، هذا التوظيف الأدبي اتّسم بالقوة و سعة الاطلاع، فقد حوّر هاته الشخصية بما تستدعيه رسائله.

فقد اتخذ من شخصية " محمد بن عبد الله" المعروف "بابن بطوطة" منبرا عبّر فيه عما ساوره من أفكار أثناء قراءاته للواقع « توجد شخصيتان مهمتان في أدب الرحلة، أسعد دائما بالتواصل معهما و أشعر بالنشوة و أنا أقرأ لهما و عنهما؛ الأولى شخصية تراثية تتمثل في محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة الذي عاش في القرن الثامن هجري»[1].

[1] – سعيد بن زرقة: الزربوط، دار الساحل للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 201، ص 17.

يواصل "سعيد" التعريف "بابن بطوطة" و رحلاته الاستكشافية و مغامراته البطولية في سبيل التوثيق و التأريخ لشعوب العالم و جغرافيته « و كنت كلّما قلّبت صفحات الكتاب ازددت احتراما و تقديرا لهذا الرجل»[1].

يحس الكاتب بمتعة عظيمة و هو يقلب صفحات كتاب تحفة النّظار ف غرائب الأمصار و عجائب الأسفار إلى درجة الإعجاب الكبير بشخص هذا الرحالة الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلّا و دونها متأملا واصفا شارحا حياة الشعوب و طقوسها.

جاء هذا التوظيف الأدبي لغرضين اثنين لعلّ أولهما؛ أنّ الكاتب أراد أن يأخذنا في نزهة أدبية بعيدة كل البعد عن عالم الساسة و الدين السمتان اللّتان غلبتا على جلّ نصوصه السّاخرة، فقد كانت فرصة ليتحاور فيها الكاتب مع قرائه بشكل غير مباشر حول انطباعاتهم عند قراءة هذا العمل و هي دعوة لذلك أيضا.

أما الغرض الثاني و هو الأهم؛ السّخرية و خلق مقارنة بين "بطوطة" العصر القديم و "بطوطة" العصر الحالي و كيف تبدلت المفاهيم و اختلفت الغايات « أوردت هذه المقدمة و أنا بصدد الحديث عن السلالة البطوطية التي لازالت حيّة عندنا و تنتعش خاصة في رمضان، و خير من يمثّلها صديقي الماحي الّذي يدير محرك سيارته المهترئة مع طلوع كل صباح رمضاني متوجها إلى مدينة بوفاريك ليشتري الشربات من محلات سمير(...) ثمّ ثلاثة أنواع من الزلابية ثمّ يواصل رحلة البحث عن قلب اللوز...»[2].

إزاء هذا الطرح لابدّ للقارئ أن يملك دورًا أساسيا لا يكتمل النّص إلّا به، فعليه أن يمتلك الوعي بالسّخرية ليعيد إنتاج الدّلالة من جديد، فقد ترد السّخرية حفية في شكل سرد عادي غير منتج لدلالة واضحة في حدّ ذاته و لا يمكن استقراء ملامح السّخرية إلّا بالرجوع للتراث

---

[1] – الزربوط، المصدر السابق، ص 18.

[2] – المصدر نفسه، ص 19.

و معرفة حقيقة "ابن بطوطة" و رحلاته الجادة في سبيل المعرفة و الاطلاع في مقابل رحلات السيد ماحي التي اقتصرت على الترحال من محل إلى آخر قصد اقتناء بعض الحلويات و المشروبات لا غير!

يُقيم "سعيد بن زرقة" هاته المقارنة موجّها سخرية حادّة اللهجة؛ فهو يأنف مما يراه حوله من حياة بائسة كالحة لا غاية ترتجى منها تسلب الإنسان قيمته و حقيقة وجوده بعيدًا عن الاحتياجات البيولوجية من أكل و شرب و تكاثر.

يستعرض كاتبنا في ومضات سريعة رحلات السيد ماحي و عنائه المرير في سبيل أن يحظى بنوع من أنواع الخب و القطايف « يملأ سيارته بأنواع الخبز و الديول و القطايف و البوراك، و أثناء العودة يتوقف في الشقة فيتخب في شلالاتها ثمّ يملأ الدّلاء ماء عذبا زلالا و في المدينة يصلّي العصر(...) ليدخل بلدة شكاو فاتحا فيشتري منها الأرانب...»[1]، إنّه يستهزئ بصاحبنا و يسخر من بطولاته المزعومة فهو يدخل المدن بحثا عن الطعام و الشراب! وهاته اللفظ "الفتح" لا تستعمل إلا لمن كان محاربا حاملا لرسالة و ناشرا لها فقط أطلقت على الفاتحين من المسلمين و هم يجوبون بقاع الارض ناشرين دين الله و شريعته المثلى، فهل حقا السيد ماحي فاتح؟!

إنّها مفارقة استندت على التراث العربي، فالفتوحات ارتبطت برسالة الاسلام فكيف يكون الفتح في سبيل الدين كالفتح في سبيل البطون؟

فالقصد هنا جاء احتقارا وانتقاصا وسخرًا من ممارسات السيد ماحي التي شابهت في عنائها و ترحالها رحلات "ابن بطوطة" و فتوحات الفاتحين غير أنّ الغاية اختلفت.

---

[1] – الزربوط، المصدر السابق، ص 20.

« رحمة الله على ابن بطوطة و ابن عطوطة و الشفقة على البطابيط الجدد»[1].

هات العبارة لا يكن أن تخذ على محمد القراءة الحرفية، ذلك أنّ موقف الكاتب لا يحتمل مثل هذا الأمر، إنّما أتت الرحمة هنا على سبيل التهكم و السّخرية؛ إنّه دعاء من منطلق الحسرة و الالم على حالنا فقد وصل الكاتب لدرجة من التفجع على الواقع فمن فاتحين أصحاب أمجاد و بطولات إلى أناس لا يشغلها إلّا ملء البطون.

نجده أيضا يوظف شخصية من الشخصيات التراثية اللامعة متجسدة في شخصية "أشعب"

« يعتبر أشعب من الشخصيات الطفيلية البارزة، عاش في العصر الأموي و كان أحول العينين، أقرع الرأس، ألثغ يجعل الراء لام...»[2]، لقد جاء هذا التوظف في إطار حديثه عن الوزراء و الصحفيين و المثقفين و الكتّاب و الصحفيين و حتى عامة النّاس ممن يستغلون المواقف و الأحداث لنيل مكاسب شخصية « إنّ اشعب لم يمت في القرن الثامن، فروحه تناسخت في أرواح الوزراء و المثقفين و الكتاب و الصحفيين و عامة النّاس، فيوجد أشعب الصالونات و أشعب الجنازات(...) فأشعب قد يكون حاملا لربطة عنق أو رثّا عارا هزيل العنق و لكل قرية أو مدينة أشعبها»[3].

يأتي هذا التوظيف كإشارة لضفة ذميمة تمثلت في الانتهازية و الاستغلال البشع و الوقاحة الطاغية التي وسمت طباع مثقفي البلاد و سياسيها ، فلم يعد المثقف حامل همّ أمة و صاحب فكرة و لم يعد السياسي رجل دولة و تسيير حسن بل كل يسعى لملأ بطنه و استغل منصبه فيما ينفعه و يحقق له الصيت و الشهرة و المنفعة « أطلق سكان المدينة على هؤلاء الطفيليين اسم الطعماجية الذين يحفظون عن ظهر قلب تواريخ الولائم بالمدينة

---

[1] – الزربوط، المصدر السابق، ص 20.

[2] – سعيد بن زرقة: قلة أدب، مصدر سابق، ص 145.

[3] – المصدر نفسه، ص 146.

و يضبطون ساعتهم على أفراحها و أحزانها ، و بمرور الزمن قويت فيهم حاستان ، حاسة شم الطعام و حاسة سماع البرّاح و هو ينعي موت المدينة »[1].

لعلّ المحتوى السياسي يبرز بشكل جلي في هذا النص فالطعماجية كما وصفهم سعيد ممن يتطفلون على بيوت الناس و يحفظون تواريخ الولائم و الزردات و يضبطون عقارب ساعاتهم على ذلك ، فهم رجال السياسة الذين يظهرون و تنشط حركتهم قبل الانتخابات ، إذ يشرفون على حملاتهم الانتخابية بأنفسهم ، فيلجؤون لعامة الناس مُهللين مبشرين واعدين بغية الظفر بأصواتهم ، و ما إن يفوز هؤلاء بمقاعد في قبة البرلمان حتى ينسحبوا و تتلاشى وعودهم و تُمحى تلك العهود فيُسجل حضورهم في الفجائع و الكوارث لتقديم واجب العزاء ! ، فهم أشبه بأشعب الطفيلي الذي يتصيد المناسبات ليحط على الديار و يأتي على قصاع أهلها إلى أن تتحول إلى صحراء قاحلة ، يختلف الزمان و المكان غير أن أشعب العصر الأموي هو ذاته اشعب العصر الحالي .

هاته المشابهة التي عرضها الكاتب من خلال توظيفه لشخصية من التراث تفضح سُخرية بارزة و تحقيرًا كبيرًا لهاته الفئة من الناس، فقد استدرج شخصية أشعب لتشمل هنا عالم السياسة و رجاله، فأتى هذا التوظيف التراثي الدّلالي رغبةً منه لفضح تلك الممارسات و نقدها و ربّما النّيل من أصحابها و الحّط من قيمتهم و السُّخر منهم .

4.1 استراتيجية التضمين و التلميح :

إنّ أي تواصل في الحياة يتجزأ لجزأين؛ جزء منه ضمني و الآخر صريح، ذلك أنّ الخطاب مرتبط بصاحب القول فهو وحده يملك حق اختيار الأسلوب الذي يتبعه و هذا ما دفع سعيد بن رزقة لاختيار استراتيجيته تقتضيها طبيعة الموضوع السّاخر، إذ نجده يستخدم القول

[1] – قلة أدب، المصدر السابق، ص 146.

المضمر أو الضمني من الحديث «إننا لا نقول كل شيء، كما انّنا نحتاج الى الدخول في محادثات اجتماعية كي ننتج دلالة »[1]، فاستقراء الدّلالة القصدية تحتاج لأكثر من طرف.

من خلال هذا المفهوم نجد أن الكاتب يتلفظ بأقوال تبنى على الغمز و اللّمز و التلميح بشكل ضمني في عدّة مواضع من سردياته « مع مرور الزّمن لم يعد رمضان هو رمضان و لم يعد النّاس هم النّاس ، و لم تعد الشمس هي الشمس و لم تعدّ الزلابية هي الزلابية »[2]، يستعرض كاتبنا من خلال مقاله المعنون ب"حكم أكل الزلابية" فتوى أحد الشيوخ بتحريم أكلها و المكانة اتي بلغتها هاته الأخيرة على موائد إفطار الجزائريين «لا يعيش الشعب الجزائري على شعار رمضان بدون حمود، ليس رمضان فقط، بل يعيش أيضًا على شعار رمضان بدون زلابية بوفاريك ليس رمضانا»[3].

يُمكن أن نفهم من خلال هذا الخطاب الذي طرحه ووجهه المرسل الى القارئ أنّهُ يقصد الكثير و يودُّ منه و يرجو أن يكشفه، و لهذا وُجب علينا تأويل كلام بن رزقة و تحليله فهو يود محننا عدّة مقاصد من خلال طرحه لهذا الموضوع.

يبدو و أنّه يعالج مسألة أكل الزلابية التي حرّمها الشيخ «طلعت علينا السنة الماضية إشاعة الشيخ بتحريم أكل الزلابية و اعتبرت في الفتوى المشاعة من بدع الصيام»[4] من خلال قوله هذا فالمعنى الظاهر و الذي يتجسد من خلال السياق الداخلي أنّ المسألة بسيطة تمحورت حول الزلابية الأطلة المحببة لدى الجزائريين، و كيف أدت فتوى التحريم لانتهاك حرمة هاته الحلوى المقدّسة، غير أن المعنى الخفي قوي بالغ الأثر، لهذا قام المخاطب

---

[1] – فيليب بلانشيه: التداولية من أونست إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحور للنشر و التوزيع، ط01، 2007، ص145.

[2] – سعيد بن رزقة: قلة أدب ، ص106.

[3] – المصدر نفسه، ص107.

[4] – المصدر نفسه، ص107.

بحجبه عن أنظار المسخور منهم بغية الوصول إلى المتلقي محور العملية التواصلية و المستهدف الأول، فالدّلالة التي يمكن استنتاجها من السياق الخارجي و بإسقاطات على الواقع الراهن نجده يسخر من المشايخ الذين عاثوا في دين اللّه بفتواهم العبثية الخاضعة لأهوائهم، الخادمة لأغراضهم، فسرعان ما يغير هؤلاء أقوالهم إن هم لم يجدوا الدّعم و الإقبال مثل ما هو الحال مع شيخ الزلابية الذي تراجع فورًا عن فتوى تحريمها « و نظرًا لحالة الطوارئ التي احدثتها هذه الفتوى خرج الشيخ من صمته خوفًا على حياته و تبرأ من الفتوى و أكّد جوازها»[1]، فهي سُخرة ضمنية شديدة تحمل الكثير من المرارة و التعجب الممزوج بالاستنكار من أفعال مشايخ هذا الزمان و كيف يُمكن لفتاويهم الخادمة لأغراض مشبوهة أن تحقق كل هذا الخراب و الدّمار و الموت، و هو يحيلنا بطريقة ذكية للواقع الاسلامي و حروبه التي باركها هؤلاء المزيفين المحسوبين على الدين الاسلام.

يواصل سعيد النّيل و السُّخرية و التحقير من أفعال هؤلاء « و سمعت أن الشيخ بلحمه و دمه ذهب مباشرة إلى محلات بيع الزلابية و اشترى عشرة كيلوغرامات و ترجاه بائع الزلابية في أن يأخذ صورة له مع زلابية، لترويج سلعته و لدفع شبهة التحريم رفض الشيخ بأدب لأنهً يحرّم التصوير»[2]، فكيف يُمكن لهؤلاء أن يلعبوا بمصير الأمم و حياة النّاس و أعراضهم و دمائهم و لم يساوهم أدنى تأنيب و محاسبة و كيف يحرصون هم انفسهم على تطبيق بعض الممارسات كحرمة التصوير مثلا، أليس تحريم هتك الدماء و الأعراض أولى من تحريم التصوير؟! وهل سيغفر اللّه فتاويهم الجالبة للموت و يعاقبنا من أجل صورة فوتوغرافية؟

إن الطريقة التي اتبعها الكاتب في عرض التناقض في أفعال شيوخ الدينار هي طريقة السَّخرية اللاذعة مما جعله يلجأ إلى الضمني و تمويه كلامه الذي يستهدف فئة معينة، فقد

---

[1] – قلة أدب، المصدر السابق، ص107.

[2] – المصدر نفسه، ص107.

قصدهم بخطابه السّاخر هذا، نعم إنّهم فئة الشيوخ التي تدعي المعرفة و الدراية و تحكم باسم الدين.

مما سبق يمكن القول أنّ الفكرة التي أوردها الكاتب أثر كبير بقوة مضمرها، ذلك أنّ جمالية التضمين تكمن في القدرة على التلميح و خلق مساحة واسعة للمتلقي لفهم المضمون السّاخر و اسقاطه من منطلق الحاضر.

5.1- استراتيجية الصمت:

إن كان الكلام في الخطاب مِلك المتكلم أساسا، فإن الصمت يظهر لنا انّه لصيق و متعلق أكثر بالمتلقي-المخاطب-، فالصّمت في اللّغة استحضار لحديث و كلام عجز القول عن تبليغ مقّاصده، فيغمد الصمت إلى استدراج المخاطب للبوح بما سُكت عنه « الصمت عُزوف عن الكلام و رغبة جامحة في السكوت، غير أنّه سكوت مكتنز بالمعنى قد يصل في بعض الأحيان إلى قدرة تفوق لغو لكلام ...»[1].

ولفهم الكلام المسكوت عنه علينا العودة إلى السياق لتحرّي المقاصد الحقيقية للمتكلم و عليه فقد وجدنا من خلال أعمال سعيد بن رزقة أنّه قد لجأ إلى استعمال استراتيجية وآلية الصمت من خلا نصوصه السّردية السّاخرة « و عرضت في مصر مسرحية معلش احنا بنتبهدل تقمص فيها ديفيد برينت شخصية بوش و حققت نجاحًا كبيرا...»[2].

فبعد القول يأتي الصمت وليس أي صمت بل هو صمت من نوع خاص يحمل في طياته دلالات عميقة يستّدعي الكاتب من خالها ذهن المتلقي، فإيقاف النّص عن نقطة ما من

---

[1] – يوسف رحايمي : الصمت معطى تداوليا و نسقا خفيا في الخطاب، مجلة العمدة في اللّسانيات و تحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ع03، 2018، ص282.

[2] – سعيد بن رزقة: قلة أدب، مرجع سابق، ص16.

انطلاقه و انبثاقه يُحيلنا إلى احتمالات كتابية، حيث وحده القارئ يستطيع ملأ الفراغ في كل مرة يقرأ النّص فيها.

يستدعي الكاتب شخصية سياسية معروفة و هو الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن و ضمنه مسرحية و كيف لهاته المسرحية أن تحقق نجاحًا كاسحًا لدى الجماهير، يسوق سعيد عباراته بحرقة تجعلنا في حيرة من أمرنا بطابعها التهكمّي السّاخر الذ يحمل وجهين (الجدّ و الهزل) فسعيد أراد أن يرسل لنا رسالة ضاحكة تمثلت في كون بوش الرجل الديكتاتوري الظالم الذي تسبب في حروب عدّة أن يكون شخصية باعثة على الضحك و جالبة للمرح إنها مفارقة عجيبة «حيث ضحك الشعب الغلبان على حكومته و على البهلواني...»[1]

فالكاتب يجعل المتلقي في حيرة من أمره من خلال البياض المتروك، و كأنّ الكلام موجّه إلينا كشعوب عربية اسلامية، فهو يحمل طابع اللّوم و العتاب بطريقة غاضبة تحمل الكثير من الأبعاد، فكل مخاطب يفهمها من زاويته، إذ كيف لمهرج كبوش أن يخُلف كل هذه الحروب في البلدان الاسلامية، و لعل هذا هو الجانب الجادّ من الطرح و اللّوم على الحكام و طبقة المثقفين و النخب ممن سمحو لأمثال هؤلاء الى اعتلاء مناصب الحكم و التحكم في مصير النّاس، فقلة الوعي و التبعية أورثتنا الخنوع و الاستسلام لهاته الأشكال يواصل قوله « وعبّرت مسرحية ماما أمريكا بصدق عن الولد الشقي...و اخواننا في باكستان يسمون رئيسهم بو شرف، لأنهّ من مشتقات بوش...»[2]

إنّ عملية السُّخرية مرتبطة بالكاتب فهو الذي يبعث بخطابه إلى الآخر، فتارة يستعمل مفردة البهلواني تاركا فراغات صامتة و تارة يصدفه بالولد الشقي، ففي كل مرة يتطرق في معرض حديثة عن بوش يبلغ الصمت عنده الذروة فيلقي بأوصاف ساخرًا مقزمًا حجمه في مفردة لا يتعداها تاركا للقارئ مهمة ملء الفراغات بما يجب.

---

[1] – قلة أدب، المصدر السابق، ص16.

[2] – المصدر نفسه، ص16.

بالاستناد الى سياقات خارجية لفهم مقصد المخاطِب السّاخر التاقم تتضح لنا الرؤية و تتكشف أمامنا النصوص المضمنة و الشيفرات المزروعة في النّص، يترك المؤلف أمام كلماته السّاخرة –البهلواني ، الشقي– فراغات تُحرض المتلقي على استدعاء خلفياته و حمولته المعرفية و الثقافية حول هاته الشخصية الجدلية–بوش– و بالعودة إلى خارج السياق نجد أنّ هاته الشخصية قد عرفت جدلاً كبيرا خلال فترة حكمها للولايات المتحدة الأمريكية فقد تبنى بوش الحرب على الاسلام من منطلق شعار الحرب على الارهاب و أمثلة ذلك حربه على أفغانستان و العراق، فهل حقا هاته الشخصية تبعث على الضحك؟ أم أنّه ضحك مرير مؤلم، فقد انتهج حكامنا سياسة بوش ف إبادة رَعيتهم و قهر شعوبهم حفاظا على كراسيهم، كل هذا جاء في لفظة مشتقات بوش.

و لشرح أكثر الخطاب الساخر ضمن استراتيجية الصمت ارتأينا أن نمثل ذلك بالمخطط التالي:

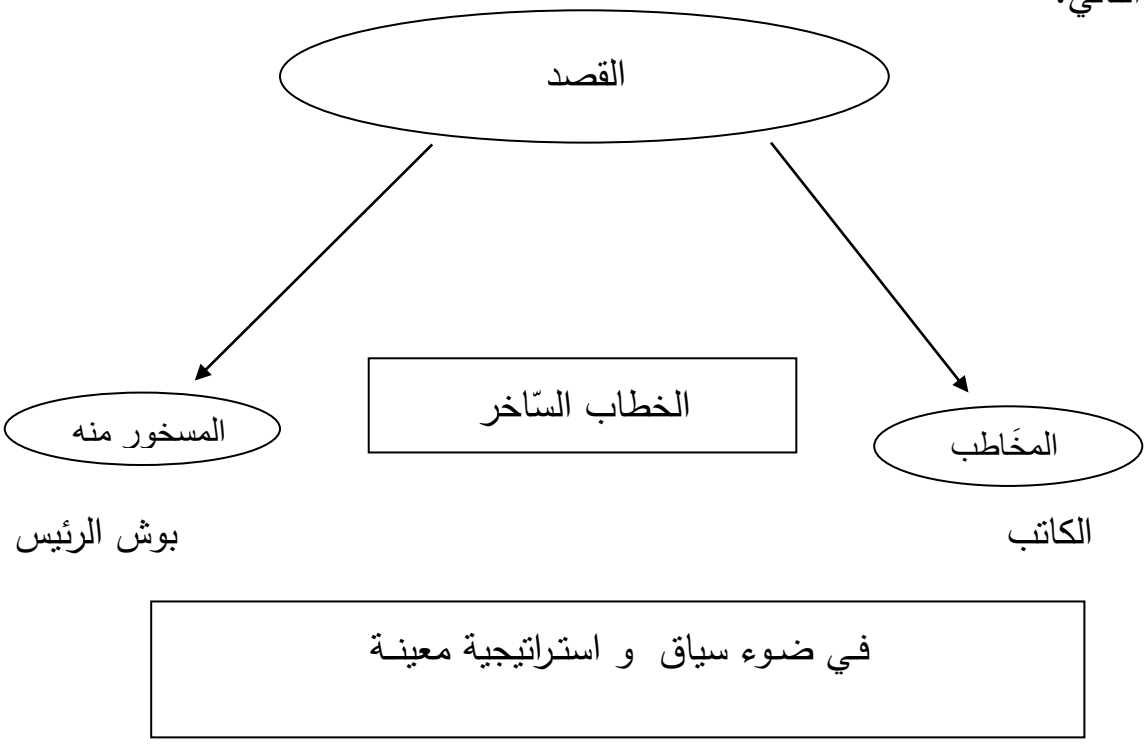

« و للصمت أبعاد و دلالات في الخطاب تحضر حيث يعجز اللّسان عن التعبير»[1]؛ فهو بديل يحضر و يسود حين تتعطل لغة الكلام و يعجز اللّسان عن البوح لعدّة اعتبارات لعلّ أبرزها الخوف من المساءلة في ظل غياب حرية الرأي و التعبير في بلداننا.

في موضع من كتابه " قلة أدب" يتناول فيها مقال بعنوان أم هانئ تسأل الرئيس « تحدث و سكتنا ثم تحدثنا...و تحدث ثم سكتنا...»[2].

نجده يلجأ مرة اخرى إلى الصمت و قد يكون فعله هذا من باب اللامبالاة و السُّخر إذ لا جدوى من الكلام «سكتنا ثم تحدثنا...»[3] إنه يفتح المجال لخيال المتلقي لتصور الحديث الذي يُمكن أن يدور بينه و بين الرئيس «و تحدث و سكتنا...»[4]، فهو يريد منا أن نكمل تلك النقاط و الفراغات باعتبار المتلقي متتبعًا ثانيًا للنّص، فمن خلال هذه العبارات يتجلى لنا الأسلوب السّاخر المتهكّم، فماذا يُمكن أن يقال في حضرة الرئيس؟ سوى عبارات التمجيد و التعظيم، فأي محاولة للنقد و الانتقاد قد تؤدي بصاحبها لمهلكات هو في غنى عنها .

يسلط السارد الضوء عل القمع و محدودية التعبير و غياب حرية الرأي بطريقة تهكمية ساخرة و في ذات الحين ودٍّ لو أنّه قال الكثير، غير أنه ترك مهمة ذلنا لنا، لكشف المضمر و القصدية من ضمنه.

وتأكيدًا منه على مضمون رسالته و قصديته يؤكد في موضع آخر على لسان أم هانئ حين عاتبته على صمته في حضرة الرئيس ليباغتها بسؤال ذكي «لو كنت مكاني ماذا ستسألين؟»[5].

---

[1] – يوسف رحايمي: الصمت معطى تداوليا و نسقا خفيا في الخطاب، مرجع سابق، ص281.

[2] – سعيد بن رزقة: قلة أدب، مرجع سابق، ص150.

[3] – المصدر نفسه، ص150.

[4] – المصدر نفسه، ص150.

[5] – المصدر نفسه، ص151.

إن الجواب على هذا السؤال هو فحوى الرسالة التي أراد لصمته أن يبلغها، لترد عليه أم هانئ « أصلي على النبي و أذكر كل القبائل و العروش(...) أذكره بعدالة عمر رضي الله عنه و بنيف علي رضي الله عنه، و بكرم عثمان رض الله عنه، و بأنٍّ أبا بكر صاحب كلمة...و أنني أم هانئ مخلوقة لا أخشى في الله لومة لائم »[1].

يتضح لنا انّ أم هانئ هي لسان حال الكاتب نفسه و أنّ هذا الخطاب هو مبلغ قصده و منتهى غايته، إلا أنّه في كلامه على لسانه لم يتطرق إلى من ذلك بل فتح المجال للقارئ متوسلا في الصمت مهمة ايصال رسالته المضمرة لتأتي أم هانئ مؤكدة كلام حفيدها بجلاء و عفوية الجدات «لقد قلت سيدي الرئيس قبل الحملة سأرفع الغُبن عن الشعب بعد الحملة لكن الشعب يدخل يومًا بعد يوم في النزاعات غرقا...»[2].

يظهر فحوى الخطاب سافرًا عاريا من أي زيف أو رمز؛ فالكاتب ترك مساحة للتأويل و القراءة ليقذف بعدها قصديته الخطابية على لسان جدّته لا لسانه، في محاولة للهروب من مأزق الإدانة و التحريم بتهمة تقليل الأدب.

فصمته إذن سخرية مريرة و حسرة مسحوّبة بألم من واقع مأساوي، أصبحت فيه حتّى الكلمة جريمة يُعاقب عليها.

عمد سعيد بن رزقة من خلال الآليات و الاستراتيجيات الآنف ذكرها إلى السُّخرية و التهكم من أوضاع البلاد و حال العباد، جاعلا من تلك الآليات منصات يعّتليها ليُبلغ خطابه السّاخر بطريقة تبعث على إثارة بعض الابتسامات المريرة و نوع من التسلية النابعة من تضافر موضوع رفيع كمعالجة قضايا سياسية ،اجتماعية ...و يبين الطريقة السّاخرة التي استعرض بها الكاتب نصوصه.

---

[1] – قلة أدب، المصدر السابق، ص151.

[2] – المصدر نفسه،ص151.

وفي الحقيقة فإنّ هاته الآليات السّاخرة التي اعتمدها سعيد بن رزقة إنّما نشأت نتيجة عمل مدبّر و تكشف عن تحكم في عالم موارد اللّغة و أساليبها، فبالرغم من التركيب الرخو و غير المحكم للحبكات في نصوصه، باعتبارها مقالات مجتمّعة، تظل واضحة المعالم السّاخرة و نتاج قريحة واعية بمضمون ما تكتب، و هو ما أفرز جمالية مبتكرة من خلال مزج أساليب وطرق و مهارات بالإضافة الى ملكة في الكتابة ساهمت كلها في تشكيل هاته الأعمال أو كما يطلق عليها صاحبها سرديات ساخرة.

الـــخـــــاتـــمـة

الخـاتـمـة:

لقد أفضت بنا الدّراسة التي أردنا من خلالها تسليط الضوء على الأدب الساخر كنوع أدبي فاعل في الحياة الأدبية و الثقافية؛ إذ يؤسس لمنظومة نقدية تناقش الأخطاء السائدة و تحاول تصحيح المسار عن طريق السُّخرية من ضمن عديد الآليات و الأساليب التي تخضع كلها في سبيل إرساء و تشكيل الأدب الساخر و لقد كشفت الدّراسة نقاط و استنتاجات مهمة شملت جانبيها _النظري و التطبيقي_ ندرجها في نقاط كالتالي :

_ السّخرية عنصر فعال في تشكيل الأدب السّاخر بموازاة مع عناصر أخرى .

_ السّخرية توليفة مزجت بين النّقد و التهكم و الضحك...

_ الأدب السّاخر لسان حال المجتمعات عل اختلاف ثقافاتها و مرجعياتها الفكرية فهو سلاح مواجهة الواقع بكل تناقضاته؛ و بالتالي فقد نشأ هذا الأدب ليكون مرآة عاكسة للواقع الأليم .

_ إنّ أساليب السُّخرية و آلياتها متعددة لا حصر لها؛ فهي تتولّد عن إبداعات الكاتب و تفننه.

_ يعد "سعيد بن رزقة" من الكتاب القلائل الذين تبنوا هذا النوع من الأدب و جندوا أقلامهم و فكرهم خدمة لهذا الوطن _الإسلامي_، فنجده قد أعلن حربّا ضد الفساد السياسي و الظلم الاجتماعي و التدهور المعيشي و الدعوة إلى الاصلاح و التقويم، فقد كانت له الجرأة البالغة في خوض غمار تلك المواضيع المسكوت عنها و كسر الطابوهات المحرمة جاعلا من السُّخرية سلاحا و منصة يعتليها ليصدح في وجه الظلم.

_ استطاع كاتبنا ادراك مواضع الدّاء في المجتمع ؛ حيث سخر من الواقع السياسي إذ اعتبره السبب الرئيسي في مرض الأمة و بلاءها، فالحكام قد

عاثوا في أرض الله فسادًا و ضيعوا الحقوق و أهدروا الأعراض و الأموال هذا خصص جزء كبير من سردياته لنقد الواقع السياسي بشدة .

_ تنوعت وتعدّدت آليات و استراتيجيات سعيد بن رزقة الساخرة ، بحيث حرص على توظيف المفارقات بكثافة خاصة عند تناوله للموضوعات السياسية الحساسة و أيضا الدينية، و ذلك من خلال التقاطع بين المعنى الظاهر و المعنى المضمر و الذي يؤدي حتمًا إلى الضّحك مع رفع الوعي و إزالة الغمام عن الأعين حيال الكثير من الحقائق بموازاة آليات أخرى...

وفي الختام يمكن القول من خلال دراسة عينة تمثلت في أعمال سعيد بن رزقة إنّ الجزائر عرفت الأدب السّاخر في مجمله غير أن هذا الأدب لم يعرف بروزًا و تطورًا كبيرين ربما لعدة اعتبارات راجعة لشخصية الفرد الجزائري و الواقع الذي لا يشجع مثل هذا النّوع من الأدب لمساسه بالمقدسات في كثير من الأحيان يرفض المجتمع التطرق إليها و إن قبلها أحيانا بتحفظ.

هذا ما توصلنا اليه بعد بحثنا في ثنايا أدب سعيد بن رزقة السّاخر، كما يجدر التنويه إلى أن هذه الدراسة نقطة في بحر بل لا يزال البحث متواصل لكشف ملامح هذا الأدب عند كاتبنا فهناك العديد من القضايا التي لم نتطرق إليها ، و أيضا في الجزائر على وجه الخصوص.

قائمة
المصادر
والمراجع

قــائـمـة المـصـادر و المـراجع

القرآن الكريم

المـصـادر:

1_ سعيد بن زرقة : قلة أدب ، دار فيسيرا ، ط1، د ت، الجزائر.
2_ سعيد بن زرقة: الزربوط، دار الساحل للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 2016،1.
3_ سعيد بن زرقة: النقائض، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1995.

الـــمـــراجـــع:

الكتب العربية:

1_ أبو عثمان الجاحظ: البخلاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1938، ج01.
2_ أحمد شريبط: تطور البنية الفنّية في القصة الجزائرية المعاصرة (الأعمال الكاملة)، منشورات مؤسسة بونة، عنابة، الجزائر، م 3، د ط، د ت.
أحمد عطية: سيكولوجية الضحك، دار الحياء للكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 01، 1947.

3_ أحمد محمد الحوفي: الفكاهة و الضحك (أصولها و أنواعها)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2001.
حسن عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي، دار المعارف، مصر، د ط، 1974.
4_ ديوان ايليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
5_ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت، لبنان، ج 1 ، د ط، د ت.

6_ رياض قزيحة: الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط 1، 1989.

7_ سراج الدّين محمد: النوادر و الطرائف (الفكاهة في الشعر العربي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

8_ شوقي ضيف: الفكاهة في مصر، دار المعارف، مصر، د ط، 1988.

9_ طه المتوكل: حدائق إبراهيم (أوراق إبراهيم طوقان و رسائله و دراسات في شعره)، م 1، المؤسسة العربية للدّراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

10_ عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، د ط، 2012.

11_ عبد الحميد شاكر: الفكاهة و الضحك (رؤية جديدة)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د ط، 1978.

12_ عبد الرحمان البرقوقي: شرح ديوان حسّان بن ثابت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

13_ عبد الرحمان الجبوري: السّخرية في شعر البردوني (دراسة دلالية)، المكتب الجامعي الحديث، العراق، ط01، 2011.

14_ عبد القادر المازني: حصاد الهشيم، دار الشعب، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

15_ عبد الله بن المقفع: كليلة و دمنة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص 209.

16_ قصي الحسين: تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، دار مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان، ط 1، 1998.

17_ ليلى العبيدي: الفكه في الإسلام، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

18_ محمد سالم: أدب الصنّاع و أرباب الحرف حتى القرن العاشر هجري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

19_ محمد عام: الاسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1989.

20_ محمد ناصر بو حجام: السّخرية في الأدب الجزائري الحديث، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط 01، 2004.

21_ نبيل راغب: الأدب الساخر، دار مكتبة الأسرة، مصر، د ط، 2000.

22_ نبيل راغب: موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر نونجمان، مصر، ط1، 1996.

23_ نعمان محمد أمين طه: السّخرية في الأدب العربي، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، مصر، ط 1، 1978.

24_ هشام جابر: النكتة السياسية عند العرب (بين السّخرية البريئة و الحرب النفسية)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.

25_ يحيى زمزمي : الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنّة ، دار المعالي ، عمان ، الأردن ، ط 2، د ت.

الكتب المرجمة:

1_ إ. ريتشارد: مبادئ النقد الأدبي، تر: مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د ط، 1963.

2_ فيليب بلانشيه: التداولية من أونست الى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحور للنشر و التوزيع، ط01، 2007.

المعاجم:

1_ ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتويع، بيروت، لبنان، ط 06

2_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار اكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982.

3_ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1999.

المجلات:

1_ الأدب الساخر رؤية يكشفها الأدباء الشباب، المجلة العربية، دار امتياز، السعودية، د ع، 2010.

1_ صقر الصنيدي: الكاتب السّاخر و المهرج، المجلة العربية، دار امتياز، السعودية، د ع، 2010.

3_ على عاصم شحادة : المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي(دراسة في بنية الدلالة) الجامعة الإسلامية العربي ، ماليزيا، مجلة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، د ع، مارس2011.

4_ يوسف رحايمي : الصمت معطى تداوليا و نسقا خفيا في الخطاب، مجلة العمدة في اللّسانيات و تحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ع03، 2018.

الرسائل:

1_ بكير بن حبيلس: السّخرية في الأدب و ترجمتها من الفرنسية إلى العربية (رواية كنديد لفولتير أنموذجا)، رسالة ماجستير في الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

2_ خضرة ناصف: السّخرية في النّثر الأندلسي (رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد الأندلسي) أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018.

3_ على عاصم شحادة : المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي(دراسة في بنية الدلالة) الجامعة الإسلامية العربي ، ماليزيا، مجلة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مارس 2011 .

المـواقع الالـكترونية:

http//www .aljazeera.net
htt://www.raiLyoum.com
https//www.emaratalyoum.om
ouargla.dz-https://revues.univ
www.annasronline.com

الـفـــهـــرس

الــفــهــرس

شكر و عرفان

الإهداء

مقدمة

الصفحة

المدخل: السّخرية مفاهيم و مصطلحات

1_ مفهوم السّخرية.....5

1.1_ السّخرية لغة.....5

1.2_ السّخرية اصطلاحا.....6

2_ بين السّخرية و التهكم.....9

3_ بين السّخرية و الفكاهة.....12

4_ أنماط السّخرية.....14

1.4_ تقسيمات دوغلاس ميويك.....15

_1.1.4 السّخرية اللفظية.....15

2.1.4_ سخرية الموقف.....15

2.4_ تقسيمات لوسي ديديو.....16

1.2.4_ السخرية الحوارية.....16

2.2.4_ السّخرية النّصية.....17

5_ صور السّخرية.....17

الفصل الأول: الأدب السّاخر بين المفهوم، النشأة و التطور

1_ ماهية الأدب السّاخر.....22

1.1_ مفهوم الأدب السّاخر.....22

2.1_ الأدب السّاخر و الكتابة السّاخرة.....27

3.1_ وظيفة الأدب الساخر.....28

2 الأدب السّاخر النشأة و التطور.....32

1.2_ الأدب السّاخر عند الغرب.....33

2.2_ نشأة الأدب العربي السّاخر.....34

1.2.2 في العصر الجاهلي.....34

2.2.2_ في صدر الإسلام.....35

3.2.2_ في العصر الأموي.....36

4.2.2_ في العصر العباسي.....37

5.2.2_ في العصر الحديث.....39

3.3_ واقع الأدب الجزائري السّاخر.....40

4_ شخصية الأديب السّاخر.....42

الفصل الثاني: آليات الأسلوب السّاخر في أعمال سعيد بن زرقة و مقاصدها الدلالية

1_ أساليب و استراتيجيات بن زرقة السّاخرة.....46

1.1_ المفارقة.....46

1.1.1 مفارقة العنوان.....46

2.1.1 مفارقة النّص.....49

2.1_ الحوار السّاخر.....54

3.1 توظيف التراث.....58

4.1_ استراتيجية التضمين و التلميح.....62

5.1_ استراتيجية الصمت.....65

خاتمة.....72

قائمة المصادر و المراجع.....75

الـــمـــــلـــخـــص

الملخص:

تناولنا في هذا البحث دراسة حول جمالية الخطاب الساخر الجزائري و قد اخترنا أعمال سعيد بن زرقة _ الزربوط، النقائض، قلة أدب _ كموضوع للدراسة.

قسمنا البحث إلى مدخل تمهيدي تناولنا فيه السخرية و أنواعها و المفاهيم التي تقاطعت معها كالفكاهة و الهجاء و التهكم و بينا الاختلافات الهامة بين كل مصطلح.

أما الفصل الأول فقد خصص لدراسة الأدب الساخر بين المفهوم و النشأة و الغاية التي يسعى إليها مع الإشارة لأهم مقومات الأديب الساخر.

في الفصل الثاني تناولنا أعمال بن زرقة بالوصف و التحليل مسلطين الضوء على السخرية والأساليب التي اعتمدها اكاتب لإبراز جمالياتها

و جاءت خاتمة البحث خلاصة لما تم التوصل إليه من نتائج و ملاحظات.

Abstract:

In this research we have studied the aesthetic of the Algerian satirical discourse and we have chosen the works of Saeed bin Zarka, the extremes, the lack of adab, as a subject of study. We divided the search into a preliminary entrance in which we took the irony and the types and concepts that intersected with it such as humor, spelling and sarcasm and showed the important differences between each term. The first chapter was devoted to the study of the satirical literature between the concept and the origins and the purpose it seeks with reference to the most important elements of the satirical writer. In the second chapter we dealt with the work of the blue bin in description and analysis, highlighting the irony and the methods adopted by the writer to highlight its aesthetics The conclusion of the research came as a summary of the findings and observation.